

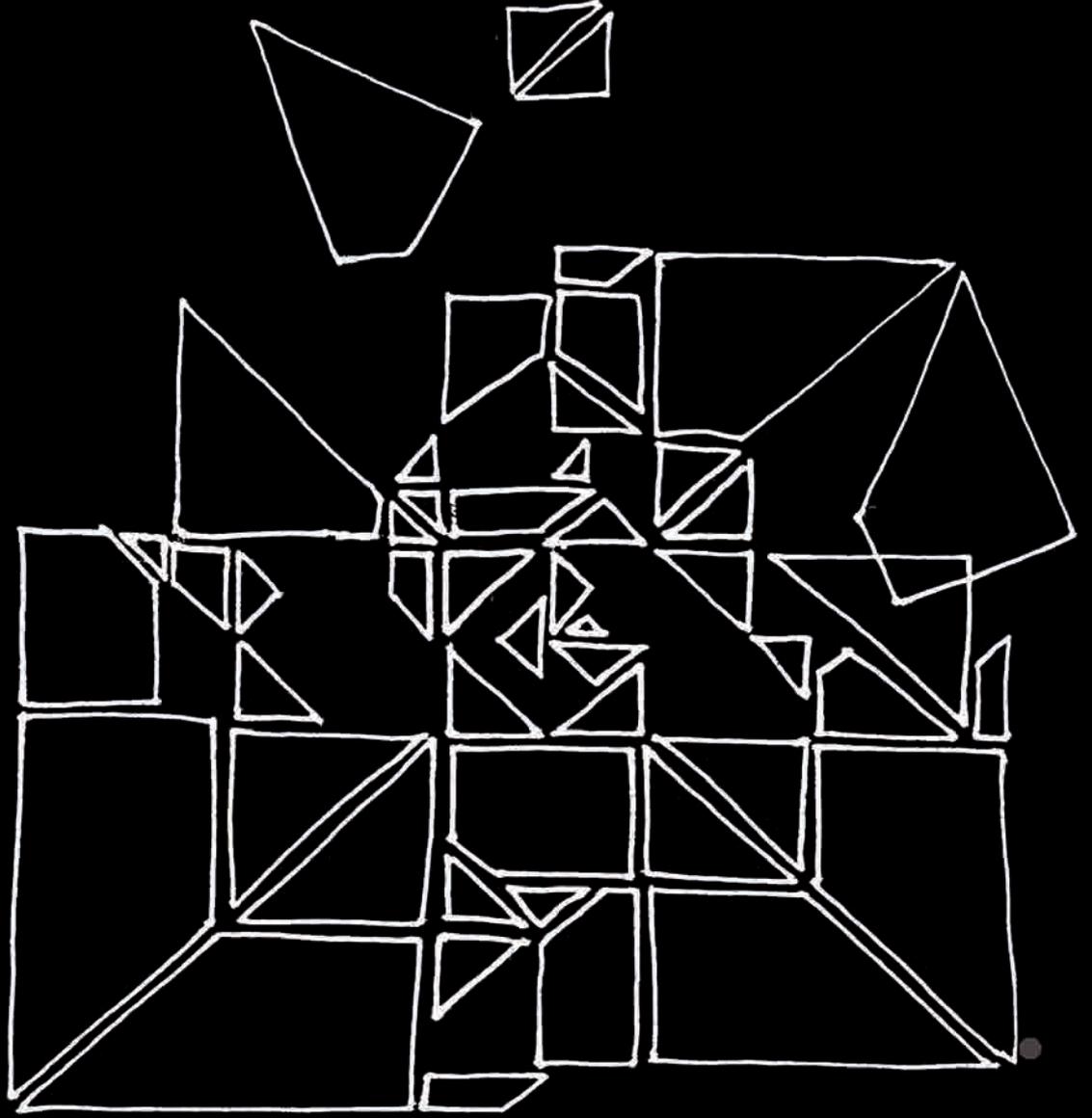


WCJ

جريدة مركز والى

العدد ٥

٢٢ أكتوبر ٢٠١٢



عمارة
من خلال المنظومات

عمارة من خلال المنظومات



يصدر مركز طارق والي , العمارة والتراث جريدة ثلاث مرات سنويا .
لكل عدد من اعداد الجريدة محور عام تدور حوله موضوعاتها .
وتتعلق تلك المحاور غالبا بالعمران او بأي من إهتمامات المركز .

فريق الإعداد:

شيماء شاهين

أمنية خليل

محمد علاء

شارك هذا العدد :

نيرمين عصام

نوران ياسر

دينا علاء

دينا عمر

١ - هضبة اهرامات الجيزة

٢ - المجتمع والعمران

٣ - العمران وتغيير المجتمع

٤ - جدلية الانسان والتراث



الحقوق محفوظة لـ :

مركز طارق والي العمارة والتراث

وحدة ١١ ، قرية الفخارين بشارع قصر الشمع

مصر القديمة ، القاهرة ، مصر .

٠٠٢٠٢ - ٢٥٣٢٧١٧٨

info@walycenter.org

يمكن الاطلاع على الاعداد السابقة من خلال موقعنا
الاليكتروني على :

<http://www.walycenter.org/ar/journal>

- أخبار المركز ٠٢

- الثقافة المعمارية .. حالة مصرية طارق والي ٠٦

- عمارة من خلال المنظومات ١١

- منزل ال بشمي ١٢

- مسجد البديع بالبحرين ١٥

- مسجد السلطان حسن ١٧

- نسق المدينة .. امنية خليل ٢٠

- حقيقة المنظومات . محمد علاء ٢٧

- رباعية حمزه بشندي ٢٩

- قراءة في كتاب : نهج البقاء في عمارة الصحراء شيماء شاهين ٣٥

- عن الكتاب ٣٦

- البقاء في العمارة والعمارة في البقاء ٣٧

- ترانيم معمارية ٣٩

- ترنيمة القانون : عمارة المنظومات ٤٣

- بيت نمرة ٩ نوران ياسر ودينا علاء ٥٠

- تأملات حول فلسفة الثورة شيماء شاهين ٥٦

ندوة ومعرض عن: رمسيس ويصا واصف

شارك المركز مع لجنة العمارة بالمجلس الاعلى للثقافة ضمن فعاليات الاحتفال بالذكرى المئوية لميلاد المعماري والفنان **"رمسيس ويصا واصف ١٩١١ - ٢٠١١"** حيث نظم المركز مع لجنة العمارة ومكتبة الكتب النادرة بالجامعة الامريكية معرضا عن المعماري " رمسيس ويصا واصف " تم افتتاحه في ١ نوفمبر ٢٠١٢ بقصر الفنون - دار الاوبرا المصرية وصاحب المعرض ندوة عن المعماري عقدت ختام المعرض يوم ١١ نوفمبر ٢٠١٢ بالمجلس الاعلى للثقافة ناقشت محاورها الجوانب المختلفة لتجربة رمسيس ويصا واصف ..

تحدث في الندوة الدكتور سيد التوني في كلمة تقديم وتقدير للمعماري رمسيس ويصا واصف والدكتور طارق والي عن رحلة مع تجربة رمسيس ويصا واصف ، قراءة مفاتيح شخصية الانسان والمعماري والفنان، وكلمة من جانب مكتبة الكتب النادرة بالجامعة الامريكية عن مجموعة رمسيس ويصا واصف - والمهندس اكرام نصحي و المعماري رمسيس نصحي عن تجربة ترميم متحف حبيب جورجي - واخيرا عرض فيلم وثائقي (ايوب الحرانية) ، وثائقي ٢٥ دقيقة من اعداد واخراج طارق والي وامنية خليل ومن انتاج مركز طارق والي العمارة والتراث ..



لقطات من افتتاح المعرض بحضور محبي رمسيس ويصا واصف وأسرته

العمران .. موقف



EGYPTIAN URBAN ACTION

انطلقت فعاليات مبادرة العمران .. موقف في ٧ يوليو ٢٠١٢ وذلك من خلال معرض " العمران .. موقف " الذي قدمت فيه أمنية خليل بدعم من المجلس الثقافي البريطاني ومركز طارق والي العمارة والتراث رؤية ورصد لقصور



الدولة في تحمل مسؤوليتها لتلبية احتياجات المواطنين من فرص للعمل والسكن المناسب والخدمات ، وهو ما نتج عنه تغيرات عمرانية سلبية في مختلف أحياء القاهرة تعاني منها جميع طبقات المجتمع. تضمن المعرض حلقتين للنقاش كانت الأولى حول مشاريع وتجارب في القاهرة ، تحدث فيها خليل شعث ، دينا شهيب وهاني المنياوي .. والثانية حول سياسات الحكومة مع العشوائيات تحدث فيها محمد عبد العظيم ومنال الطيبي .. وكذلك تضمن المعرض عرض فيلم وثائقي 25 دقيقة بعنوان العمران موقف .. تبعت فعاليات المعرض اطلاق المدونة الإلكترونية " العمران موقف " والتي تتابع وتناقش قضايا العمران في مصر وتغطي فعاليات مبادرة العمران موقف كما تحتوي على ارشيف للمقالات العمرانية وصفحة خاصة لعرض الفيديوهات والمواقف العمرانية .. ونحن بصدد انشاء اطار مؤسسي يتبنى قضية العمران موقف ..

كما شارك العمران موقف في فعاليات مؤتمر نظمته CEDEJ-Egypt بعنوان الثورات العربية والسياسات العمرانية "Revolts and Transitions in the Arab World: Towards a New Urban Agenda"

لتابعة المزيد عن .. العمران موقف

فيلم العمران مرقف وفيديوهات اخرى

<http://egyptianurbanaction.blogspot.com/p/videos.html>

حلقات النقاش

http://egyptianurbanaction.blogspot.com/2012_11_01_archive.html

ارشيف المقالات العمرانية

http://egyptianurbanaction.blogspot.com/2012_10_01_archive.html

فعاليات مؤتمر الثورات العربية والسياسات العمرانية

<http://www.cedej-eg.org/spip.php?article649>



يوالي قسم الابحاث العمرانية بالمركز في نشر الدراسات العمرانية وذلك على صفحة الابحاث بموقع المركز وذلك بعرض الدراسات التالية :

• دراسة تطوير المراكز الحضرية بالمدينة المنورة



تعرض الدراسة الرؤية العامة لتطوير المراكز الحضرية بالمدينة المنورة وذلك من خلال دراسة المجال العمراني المباشر والأشمل للمراكز الحضرية بالمدينة المنورة وتقدم كنموذجاً لتلك الرؤية المخطط العمراني والمعماري لتطوير اثنتان من أهم المراكز الحضرية بالمدينة المنورة وهما : المركز الحضري بمنطقة قبَاء .. والمركز الحضري بمنطقة السبع مساجد - منطقة الخندق .

• دراسة تطوير المراكز الحضرية بالمدينة المنورة •

• دراسة تطوير منطقة المحجر الأثري

للمسلة غير المكتملة بمدينة أسوان ..



تتعرض الدراسة للخلفية التاريخية لتشكل المسلات (الميلاد) وكذلك لمنطقة الدراسة ، منطقة محاجر الجرانيت بمدينة أسوان .. كما تعرض الوضع العمراني لمنطقة المحجر الأثري قبل التطوير . ثم تقدم الرؤية العمرانية و المعمارية لتطوير منطقة المحجر الأثري . وتعرض كذلك ملامح للمرحلة الأولى من التطوير والتي تم تنفيذها بالفعل ...

• دراسة تطوير منطقة المحجر الأثري •

• دراسة الجوانب الاجتماعية وعمران مدينة خليجية

الفريق .. نسق عمراني إجتماعي للمدينة الخليجية

عمران مدينة المحرق القديمة - البحرين ..



تتعرض الدراسة للعوامل التاريخية والبنية الاجتماعية المحلية للمجتمع البحريني وكذلك البنية الاجتماعية الجديدة للمجتمع المحلي خلال القرن العشرين ، كما تعرض الخلفية التاريخية وإستيطان مدينة المحرق . وذلك من خلال عرض سيناريو إستيطان مدينة المحرق ١٨١٠ - ١٩٧١ .. وتناقش كذلك ملامح عمران مدينة المحرق في وقت الدراسة وتتبع مراحل وصول عمران لك المدينة الى مرحلة فقدان الهوية

• دراسة الجوانب الاجتماعية وعمران مدينة خليجية •

• القاهرة ... موروث متتابع

تناقش الدراسة عمران القاهرة كموروث للمجتمع المصري وليس مجرد المنقول فيه أو معه ..مقدمة رؤية ذاتية للقاهرة بطبيعتها وعبقريتها وشخصيتها بوصفها مدينة واحدة .. بحلقات ..متقاطعة أو معزولة عن بعضها ..متداخلة أو متجاورة مع بعضها ..متوازنة أو متصارعة ضد بعضها ..ولكنها دون شك كانت دوما .. ومازالت حلقات موجودة في الزمان وذات المكان ..

• العمارة السكنية وعلاقتها بسلوك الفرد والمجتمع

تناقش الدراسة ماهية المسكن وعمارته وتعرض لملامح المسكن المدني التقليدي ومراحل تطوره وتأثره بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة وتحوله الى المسكن المدني الحديث، كما تناقش دور الدولة والمشروعات السكنية في ذلك التطور وفي كيف تحول المسكن كسلعة اقتصادية وخاصة مع غياب الوعي الاجتماعي بدور المسكن في تشكيل الفرد والمجتمع وكذلك في ظل ازمة الفكر المعماري ..

وسنوالي استكمال نشر المزيد من الدراسات وذلك بهدف التواصل وتبادل المعرفة مع المهتمين بالعمران ..

ويمكن الاطلاع على الدراسات عن طريق : <http://www.walycenter.org/ar/-/studies>

صدر للمركز كتاب : **سؤال نحو تغيير الوطن العربي**
بقلم : شيماء شاهين



إن الانسان العربي بكل ما يحمل تاريخه من صفحات مضيئة ، وبكل ما أوتى من مقومات وضعته يوماً على قمة الحضارة ، يشعر اليوم بالكثير من الارتباك . إذ يواجه واحداً من أهم تحديات حاضره .. التغيير ولقد برهن الحراك شبه الجماعي للمجتمعات العربية منذ مطلع 2011 على حاجتها الماسة للتغيير . وعلى أن التغيير هو معبر تلك المجتمعات نحو حلم النهضة من جديد .. وبرغم الاجماع على الغاية الا ان الوسائل لا تزال محل كثير من الاختلاف .. اختلاف يعمي الأبصار عن رؤية الحقائق ، ويحول بينها وبين إدراك ما يجب أن يطرح اولاً :

هل يمكن بناء نهضة بعيداً عن نهج معقول وفي غياب عقل ناهض؟؟

إن بناء النهضة يقوم على أيدي الأفراد الذين يجسدونها ، يعيشون ضمنها وتشكلهم وتصوغهم كما يشكلونها ويصوغونها . ومرجعية الأفراد في النهوض ترتكز على العقل . ومحاولة بناء النهضة بدون مراجعة العقل المدير لها هي محاولة عبثية ...

اننا لم نتمكن من استعادة النهضة لأننا نفتقد أهم مقوماتها .. نفتقد النهج الذي يقودنا اليها والفكر الذي يرسم لنا ذلك النهج .. ونحن قد إعتدنا أن نفكر، لا حسب طبيعة الأشياء ، ولكن حسب عادات فكرية توجه فكرنا مبدئياً في إتجاه معين ، سواء كان هذا الاتجاه صالحاً يناسب فعلاً ما تقتضي المشكلات من حلول ام لا يناسب . نفكر من خلال عادات فكرية تعمل مفعولها في صورة البديهيات التي تطبق دون أي تحفظ . و تلك البديهيات كان لها تاريخها ودورها السلبي في تعطيل مسيرة الكون قروناً طويلة . وخاصة عندما تكتسب تلك البديهيات صفة الثبات وتتحول إلى مسلمات عقلية خارج أطر التفكير وثوابت نفسية غير قابلة للمراجعة .. لتصبح أصناماً فكرية تعارض السنة الكونية في التغيير والتطور الذي هو سمة كل الخلق .. إن سجون تلك العادات الفكرية - البديهيات - هي ذاتها التي واجهت إنطلاقة عالمنا العربي قديماً عند ظهور الإسلام وأخرت إنتقال الإنسان العربي من عصر الجاهلية إلى عصر الحضارة . وربما يكون مجتمعنا العربي قد نجح لبرهة من الزمن أن يتخطى الجاهلية ووثنياتها العقائدية والفكرية واستطاع حينها أن يخلق في أفق الحضارة الانسانية وينشر ضوء رسالته الى أنحاء المعمورة .. ولكن الامور سرعان ما إرتدت للوراء وراحت الأصنام الفكرية تنصب من جديد وعادت ظلمة الجاهلية تخيم ثانية على فضاءات عالمنا العربي ..

تلك الجاهلية هي نفسها التي تقف في وجهنا اليوم وغدا .. وتلك الوثنية هي ذاتها ما يجب مواجهتها لتحقيق النهضة .. ان ما قبل السؤال هو تحديد هذه البديهيات المسيطرة على حركتنا التي نحتاج لمواجهتها .. وتلك الأصنام المتسلطة على عقولنا التي يتحتم هدمها .. والتحرر من المسلمات واعادة النظر بعقلانية الى ماضيها وحاضرنا ومواجهة دورنا الحقيقي في بناء مستقبلنا ..

ولأن سعي مجتمعنا العربي الى غد افضل لا يستقيم دون فهم حاضره وما يدور فيه من حراك .. دون استقراء لماضيه وما يحتويه من قدره وتوجيه ..

دون التعرف على الانسان الذي له وبه كان المجتمع العربي .. دون اكتشاف النهج الذي يصل بين ما كان وما نسعى ان يكون .

ولأن المعرفة تبدأ بالسؤال ..

يأتي سؤال نحو تغيير المجتمع العربي

محاولة لمعرفة من نحن وما هو دورنا في تاريخ الوطن المتتابع الحلقات ..



طارق والي



الارضية المشتركة كان عنوان فعاليات بينالي فينيسيا الدولي الثالث عشر للعمارة لعام ٢٠١٢ شارك طارق والي المعماري المصري ، مجموعة معماريين من الدول التي لها اجنحة ثابتة في البينالي في تقديم كل منهم رؤيته للثقافة المحلية في مجتمعه تحت عنوان الارضية المشتركة . وذلك بالعمل التالي ..





إن قدرة الانسان على البناء الإدراكي في خياله تتخطى الوجود المادي لمكان بذاته ، وتتعدى معه إستيعاب الانسان لمحدودية المكان في لحظة معينة ، بل تتغير عملية ميلاد التشكيل الفراغي لعمارة المكان تبعاً ومتغيرات إدراكات الانسان وتفاعلاته وإستيعاباته المتفاوتة .. ويبقى الثابت ليس هذا التواجد الملموس بالإدراكات الحسية ، ولكنها تلك الانساق والقوانين المنظمة لديناميكية المتغير بذاتية المكان أو بفعل الانسان .. تلك المنظومات هي الثوابت المشتركة التي تضمن تواتر ميلاد عمارة المكان وتجدها مع مرور الزمان .

تتغير الرؤية بتتابع الزمن وتعاقب الأحداث بل وتغير الحالة النفسية للانسان نفسه ، أو باختلاف الشخص المتفاعلة أو المستقبلية لعمارة المكان والرسالة التي تحملها ؛ قد تبدو أستنباطات منفردة وذاتية ولكنها بجوهرها تحمل الجمعية المشتركة لوجود الفرد ، كما إنها تتيح الإمكانية المستمرة لإعادة أبداع وجود مادي مغاير ومتجدد في كل لحظة ومع كل تجربة إبداعية جديدة . وهذا ما يترجمه بينالي فينسيا للعمارة في دوراته المتتالية من تجربة مكانية للحوار بين ثقافات تحمل

تجارب مختلفة متقاربة أو متناقضة في مظهرها ولكنها دوماً متفاعلة حول أرضية مشتركة تمثل حالة للثقافة المعمارية في بعدها الانساني .. إن البينالي في هذا الإطار وما يضمنه من رسائل حضارية وثقافية يقدم صورة جديدة وتجربة مكانية فريدة مع كل دورة .

تستمد المتغيرات حيويتها من الثوابت ، فالمتغير هو المنتج المادي الملموس بأشكاله المختلفة والثابت هو المنظومة المقننة لإخراج المنتج ؛ وما بين الثابت والمتغير ينشط إبداع الانسان حسب قدرته الإبداعية ، وهي تستحدث من تلقاء نفسها إذا تحققت لها الموائمة الفكرية والثقافة المناسبة ، والتي تتولد عنها بكيفية مجردة القيمة تحقق إمكانية التحوار والتبادل لبناء قواعد مشتركة فكرياً ومهنياً وانسانياً في مساحة حدودية ولاحدودية ، محددة ولكن ديناميكية .. وهنا فينيسيا المكان نقطة ثابتة معلومة على الأرض ولكن حالة تأثيرها المشع متغير بشكل دوري ، هي حقيقة موجودة ولكنها نسبية التأثير تعتمد على حدث البينالي وهو المتغير ، كما أنها تعتمد على المشارك والمتلقي وهما متغيران ، تتغير الأحداث والشخص والقضايا وتبقى لكل ثقافة وتد ثابت تقف عليه لبداية حوار جديد متجدد ، ومنها الحالة المصرية . إنها ثقافة جمعية تتوارثها الأجيال بحكم الممارسة ويجردها المبدعون في حالة نمو وتطور وديمومة حيوية تضمن لها دائماً الإستمرارية والقدرة الذاتية على التخابط مع الآخر .

المنظومات المقتنة للمتغيرات ..

إن القيمة الباطنية للعملية الإبداعية هي المعيار الجذري لوجود الحياة والروح في الإنسان والمجتمع ، وايضا في عمارته وفي ثقافته و في الحضارة عامة ، وعملية البحث والكشف عن هذا الجوهر هي في حقيقتها اكتشاف متجدد عن الشخصية المحلية للمجتمع في صورها المختلفة ، ولتحديد هذه القيمة المنظومة في كيانات إبداعية مادية وفي مقدمتها العمارة لا بد أن ندرك أن لكل بيئة وثقافة مكانية شخصية تتشكل منها تلك المنظومات ، ومن هذه البيئات الحالة المصرية التي تشكلت حضارتها في مراحلها المتنوعة والمتتابعة حول هذه القيمة وقامت على تلك المنظومة القيمة . إن تلك المنظومات في المطلق هي خريطة خفية لقواعد المضمون ، يكتشفها الإنسان المتسق مع فطرته ، فهي تكوينات إبداعية متتابعة تنتج تركيبات حواسية لا نهائية ، مثل النوتة الموسيقية وتناغم المقامات فتتولد سيمفونيات أو معزوفات شرقية متنوعة ومختلفة ؛ أو مثل توظيفات الكلمة في أبيات الشعر ، حيث تكون الكلمة هي الجزء والكل في ذات الوقت مثل النغمة والحرف ..

فأساس المنظومات كمفردات هي لغة للموسيقى والشعر والمكان ، جميعها يولد على أرضية مشتركة ، والديناميكية هي السمة السائدة لتتواصل تلك الإبداعات مع المتلقي على الرغم من تغير المحتوى ، وتبقى مهنية المعماري الكشف عن تلك القواعد والمنظومات والأعتماد عليها في صياغة إبداعاته المتجددة ، لغة حوار للتواصل مع الآخر ، إحياءات خافتة لمضمون المكان الذي يحمل ما هو كان وما هو كائن الآن ، وكل ماسوف يكون مستقبلاً في ذلك المحتوى المنظومي ، فالزمان يمضي تاركاً خلفه وقائع وأحداث ، وإن كانت غير مرئية ولكنها منحوتة في الخريطة العقلية لكل إنسان متلقي .

إن العملية الإبداعية في الحالة المصرية خاصة وفي الحالة الإنسانية المطلقة عامة ، والتي تنتج عمارة مكان بعينه ، هي ولادة مرتبطة بحالة تناغم مع كونية هذا المكان . مرحلة ولادة هي لازمنية ، لا بداية لها وليس لنهايتها وجود أو حدود .. تتكون في إطار متتابع لمراحل محددة تبدأ بحلم ورؤية الإنسان ، ثم منظومة مقننة للعملية الإبداعية ، وتنتهي بتصميم . أما الحلم والرؤية فهي تجربة إفتراضية تحمل طموحات وتوقعات شتى ناتجة عن ردود أفعال مسبقة ، فكرة في فضاء تتبلور وتتشكل كلما زاد التأمل وكثرت لحظات أحلام اليقظة . فننتقل ما بين مرحلة الحلم وهو لا زمني إلى مرحلة الرؤية الأكثر وضوحاً لمكان بعينه مرتبط بلحظة زمنية ما . وقبل أن نترجم تلك إلى حالة مادية ملموسة ، قد تتبلور الفكرة الإبداعية من خلال لغة المنظومات المقننة للإبداع ، فهي حلقة وصل المكان بالزمان ، فتقنن الإبداعات والرؤى الفكرية إلى منظومة نسقية قانونية ، وتملئ الفراغ ما بين الروحاني والملموس . فتصبح عملية التصميم من ذلك المنطلق تطور لإسقاطات الرؤية المسبقة إلى قوانين منظومة تتخذ بعد زمني معلوم ، وعندها قد تتغير التصميمات حسب الحالة النفسية والإدراكية للمعماري المبدع أو تبعاً للظروف المحيطة بالحدث أو زمانه .



بيلاد المكان ..

الولادة المكانية أو الانفصال عن الفراغ المطلق يبدأ بنقطة هي بداية لكل ما هو مفترض ، ففي البدء كانت النقطة ، تكونت من اللاشئ وكل شئ ، فهي الجزئية المجردة التي تكون الكل المفعم بالحياة .
فوجودها هو ما يطلق شرارة بداية صور الطاقة الأولية لوجود المكان .

تلك النقطة قد تكون مينا فيزيقية لاملموسة أو معلومة على أرض ، فالموقع التجريدي للمكان هو مبنى على نقطة . وتتابع الخطوات من مرحلة إكتشاف البعد المكاني ثم بعد ذلك مرحلة معرفة النقطة ، ثم البحث عن المقومات الغير مرئية ، ثم إمتداد منطقي للنقطة إلى خط ، من الثبات للحركة لتولد تركيبات مستنتجة من الفراغ ، وأخيراً إكمال حلقة المنظومة أو القانون .. فتكون النوتة الموسيقية لمعزوفة المعماري حسب المقامات المنظمة لها ولنغماتها .. وما ينتج عن الرؤية وقانون المنظومة هو التصميم الذي يتأثر بالعنصر التقني والمادي ففي تلك المرحلة تبدأ محاولات الوصول الى إمكانات المادة الفيزيائية وفكرة مدى موائمتها على الأرض . إنها في الحالة المصرية خاصة والانسانية عامة ثقافة جمعية تتوارثها الأجيال بحكم الممارسة أحياناً ، ويجدها المبدعون في حالة نمو وتطور وديمومة حيوية تحقق لها الاستمرارية والقدرة الذاتية على التخاطب مع الآخرين .. وتبقى مهنية المعماري الكشف عن تلك القواعد والمنظومات والأعتداع عليها في صياغته وإبداعه المتجددة عندئذ يمكنه صياغة اللغة المشتركة والقانون الذاتي لمواجهة عمليات التصميم والبناء المتغيرة .

هكذا فالمكان يحوى المنظومة والإنسان هو القارئ ، قد تكون الرسالة بلا مضمون وتلك السمة السائدة الآن ، وأحياناً أخرى القارئ ليس بملم ، في كل الحالات التفاعلات قائمة مع نسبية التأثير ، وفي بعض الحالات قد يولد التأثير مقطوعات حسية صامتة تتناغم مع إيفاعات إنسان بعينه لتشكل لحظة الإدراك الوجودي ، حيث يصبح الإنسان من صميم المكان ويبقى المكان جزء من ذاكرته حتى بعد إنقضاء التجربة ومغادرة المكان ، وهنا يأخذ المكان بعد مغاير عن واقعه لتتشكل جزئياته في أبعاد عقلية وصور حواسية شديدة الخصوصية عند الإنسان .

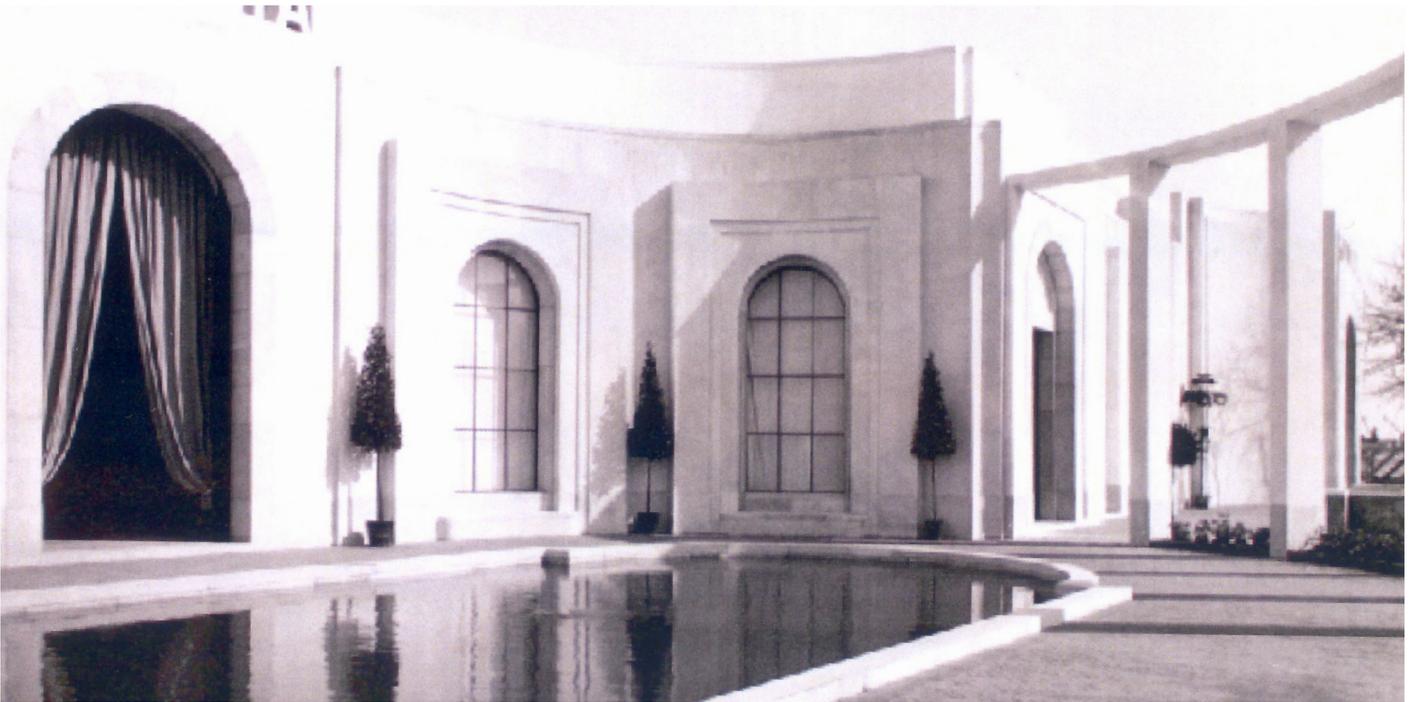
وقد تكون التجربة المكانية منقولة من حكايات السابقين المقرؤة - المسجلة ، أو تجارب المعاصرين عن مكان ما ، تلك تجسيمات مباشرة لتخيلات مكانية متبادلة ؛ محاكاة إفتراضية لعملية تفاعل الحواس ، فتنشغل الحواس في نسج خيوط ذاكرة تشكل منظومة مساحية لتتحول مصفوفات الكلمات إلى جدران ولدت من إنطباعات الحواس . وقد يوضح ذلك مدى عبقرية وإتساع المفاهيم المختلفة للكلمة ، حتى إذا توحدت كلمات وصف المكان فإن إسقاط المعنى على العقل يختلف كل الإختلاف من شخص لآخر فالكلمات قد تحتل العديد من المعاني حسب الشخص المستقبل ؛ والمكان في حد ذاته مثل الكلمات يتسم بالمرونة أيضاً في إحتواء المتغيرات ، تلك أمور حتمية ولكن قدرة الانسان للتوافق مع متغيرات المكان تكون في أكثرية الحالات جدلية ونسبية . فالمتغيرات قد لا تعنى دائماً مدخلات مادية للمكان ولكن عامل الوقت قد يؤدي إلى تدرج الظاهرة الحسية ، أما في حالة تجدد المكان أو إضفاء بعض المدخلات الجديدة عليه ، فدائماً يوجد حوار بين الثوابت والمتغيرات المكانية .. فعند إعادة رؤية المكان قد تواجهنا جدلية التجربة الجديدة مع السابقة ، أيهما سيسبحوذ على الصورة المرجعية الذاكرتية في المستقبل أيهما سيحدث التأثير الأعمق لظلاله المكانية على الذاكرة الانسانية للمتلقي ؛ وقد يظن البعض أنها تؤدي بإختلال التوازن الحسي وفقدان الإنسجام وينتج عنه تشتت ، فالعملية تعتمد بالأخص على مهنية المصمم وبراعته في الحفاظ على توائم المدخلات مع ثوابت المكان من منظوماته المقننة لوجوده ، وعلى الجانب الأخر ديناميكية التقبل العقلي للشخص وإستعدادية جهازه الحواسي لبناء الصورة الذهنية الخاصة به لتبقى الخيط الرفيع للتواصل على الأرضية المشتركة .

هكذا فإن التجربة المكانية تعتمد على التقبل العقلي ، وما يؤثر علينا كبشر في منهج التقبل هو مدى إتساع أعماق العقل في الرؤية والقدرة على بناء أبعاد تجربة مكانية جديدة ، تقوم على إتصال الحواس بكيونة المكان ومتغيراته وثوابته . فيحمل الإنسان ترسبات إنطباعات مكانية منحوتة في مساحات عقلية مرتبة يستطيع البناء عليها أو إستخدامها كمرجع في تجارب لاحقه ، أحياناً قد تزيد وعيه في محيطه المؤقت أو قد يعلو بسقف التوقعات لينتج حالة تناغمية أو إنتقادية للمكان أو حتى حالة من الرفض ..

الأرضية المشتركة للثقافة المعمارية ..

مع الرحلة المتكررة إلى مكان بذاته مثل بينالي فينسيا ودوراته المتتابعة بمحاورها وقضاياها المختلفة ، تتشارك مجموعة من الثقافات على مبادئ فلسفية متعارفة لبدء حوار مفتوح ، هو ليس حوار مباشر كلامي ولكنه أعمق من مفردات الكلمات فهو حالة تأثيرية ثرية بالتفاعلات الباشرة .

وتأتي الحالة المصرية المشاركة والفاعلة والمتفاعلة في هذا الحوار ، في خضم تلك الرحلة المليئة بالتفاعلات الحسية ، تأخذك قدمك إلى ما بعد الجسر ما وراء الفاصل المائي إلى جناح مصر ، المكان الذي يحمل بوجوده مسؤولية أن يلقي بكلماته مرسلًا ومستقبلًا ، يعبر الزائر والمشارك والمحاور إلى الحالة المصرية وجناحها حيث يتملكه الجزء المسيطر في العقل الباطن للذاكرة ، فمن المفترض أن يشعر بوجودها بدون أي صخب ، ولكنه الحوار ...



الصورة الفوتوغرافية للمصور : Gabriele Basilico

لقراءة المزيد عن الارضية المشتركة : <http://www.commonpavilions.com/index>

عمارة من خلال المنظومات

ان الانسان بخلافته للخالق في عمارة الأرض قادر بإرادته على اضافة الجمالية على كل ما هو من ابداعه كما هو قادر بفطرته على تلبية احتياجاته المادية والوجدانية من خلال فهمه لبيئته واكتشافه للانساق الربانية في الكون من حوله ، مستخدما تلك الطاقات التي سخرها الخالق لخدمة خليفته في الأرض ، ومع اكتشاف تلك الأنساق وصياغتها من جديد يكون هذا الانسان المبدع قد استحق الخلافة بل اكتسبها من جديد فيخرج الى القانون الذي يشكل من خلاله ابداعاته وعمارته ، ينطلق نحو هذا القانون ويبدع عمارة المنظومات .. عمارة جوهرها القانون المنظم وأصدفها التشكيل والمفردات المعمارية والبنائية والزخرفية ..

عمارة يرتبط فيها هذا الجوهر بالمطلق .. بالكون اللامحدود ، ويرتبط فيها الصدف بالنسبي .. بالبيئة المحدودة بالمكان والزمان ..

والعمارة من خلال المنظومات كما نراها وندركها ترانيم يعزفها المعماري المبدع على أوتار الزمان والمكان ، يصيغ خلال ايقاعاتها المتناغمة ، سيمفونية باقية ما بقيت تلك الايقاعات حية في وجدان الانسان نفسه يتفاعل معها وبها .. وباقية مادام القانون المنظم باقي من الازل الى الابد .. نتوقف اليوم امام ثلاث لمحات عن العمارة من خلال المنظومات ،

حاول المعماري فيها جاهدا استقراء القانون

والتناغم مع ايقاعاته فيما ابتكر وابدع ، فكانت عمارته لـ :

منزل آل بشمي - البحرين .

مسجد البديع - البحرين .

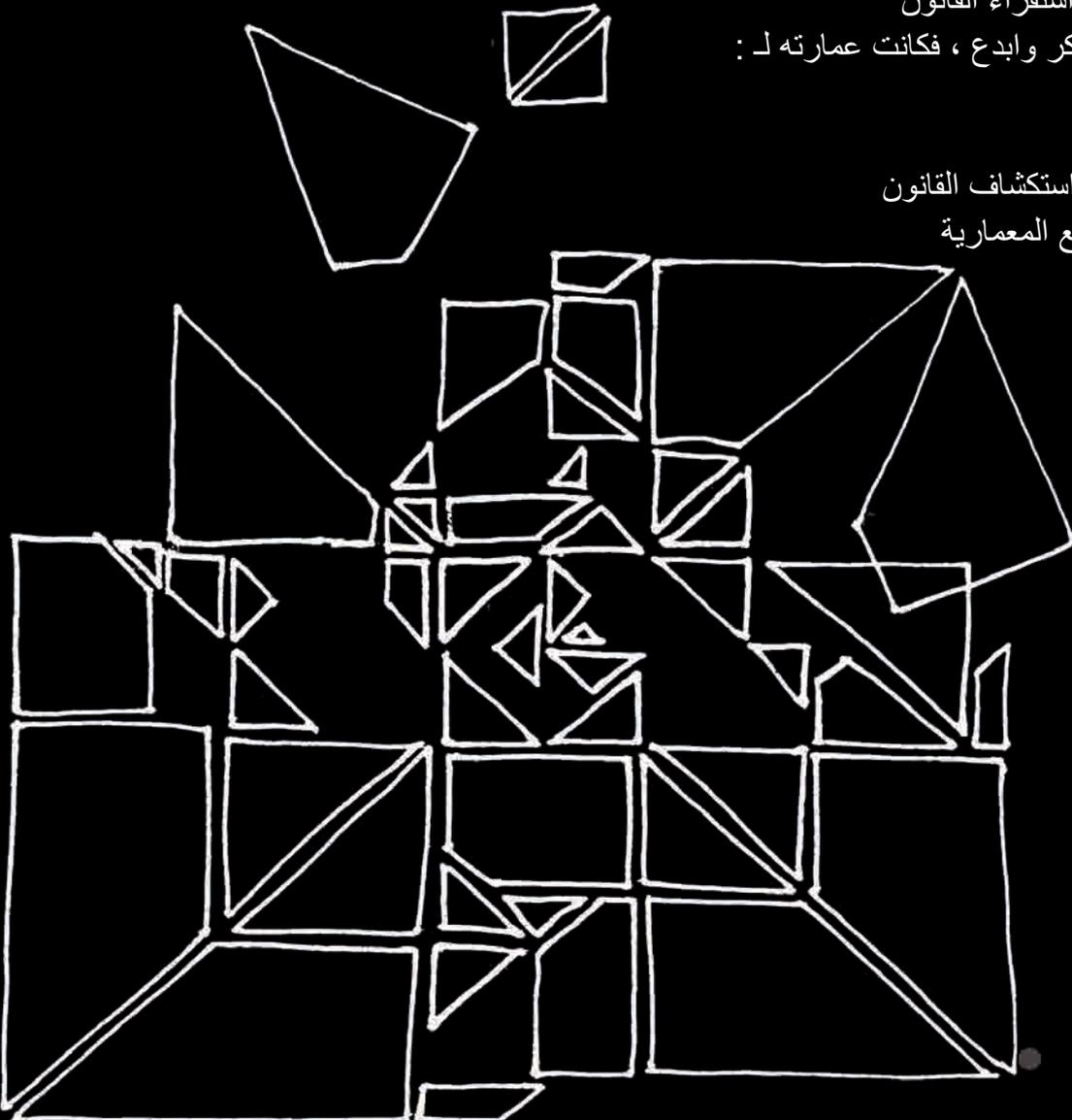
كما حاول في اللحظة الثالثة استكشاف القانون

الناظم لواحدة من أهم الروائع المعمارية

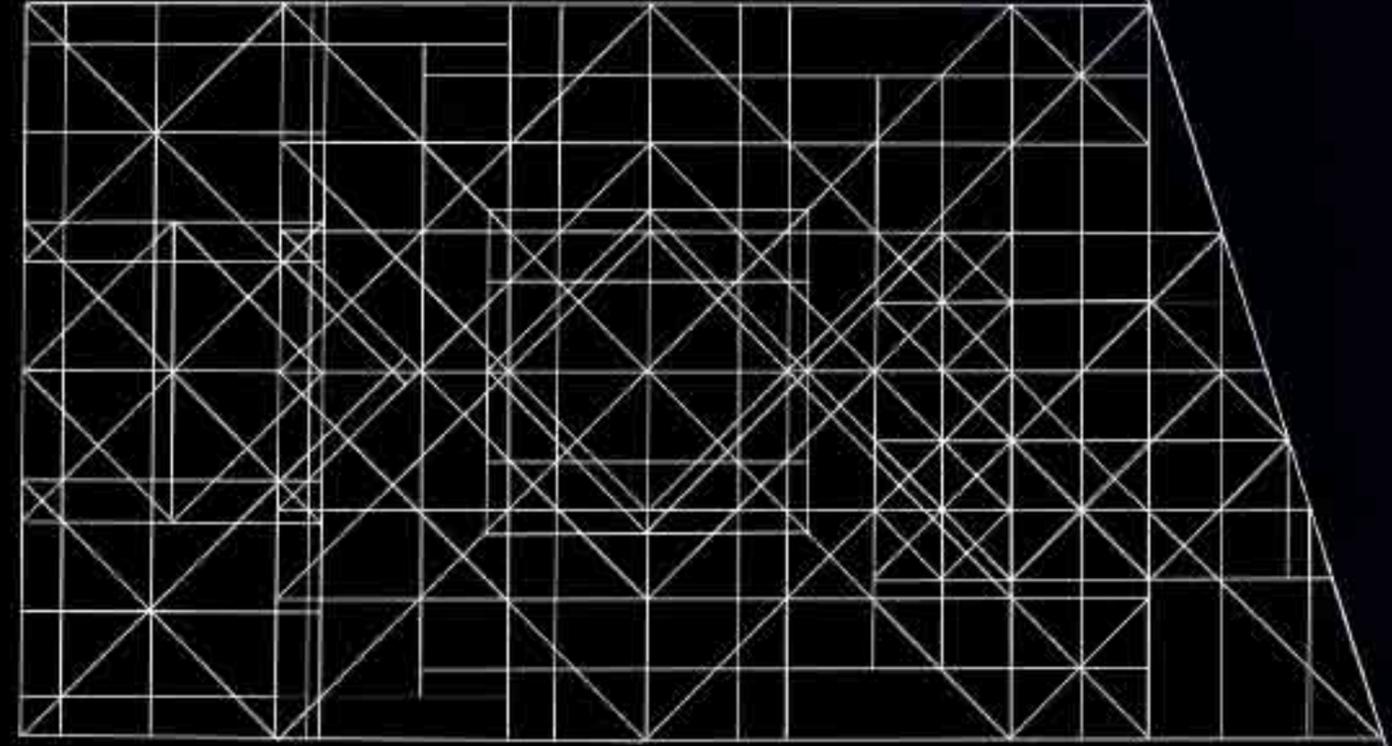
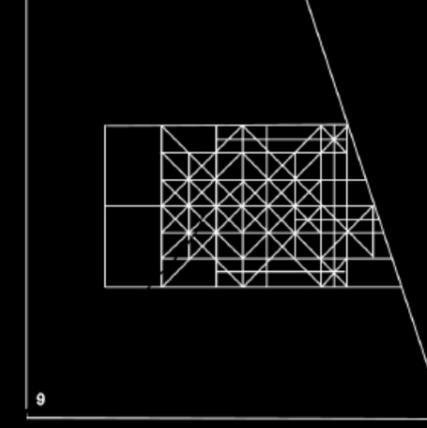
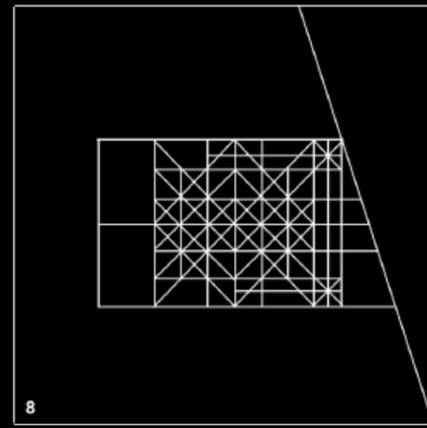
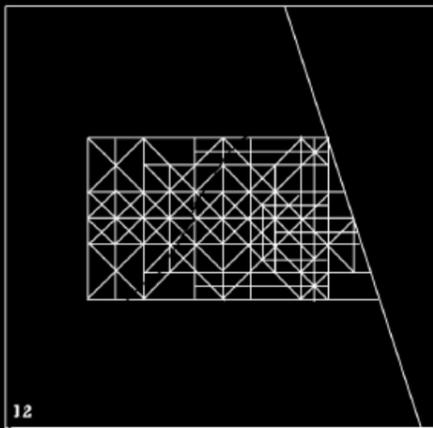
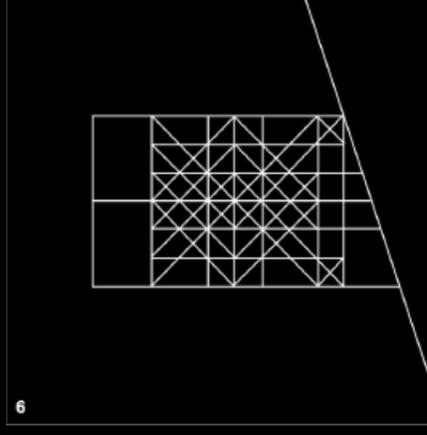
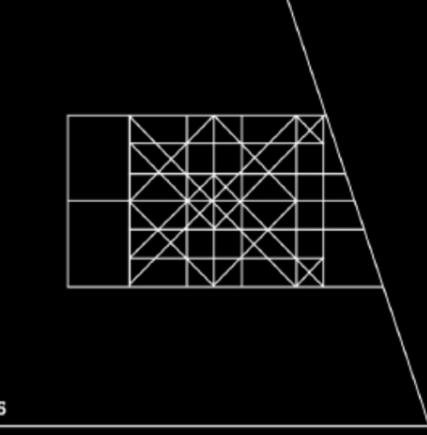
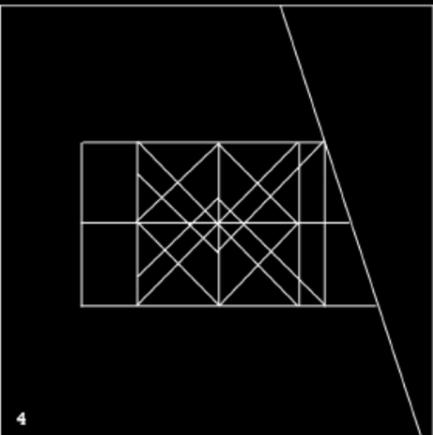
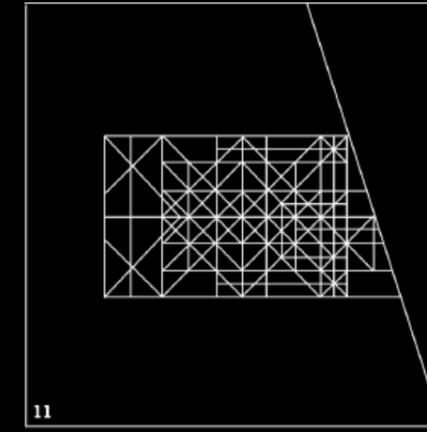
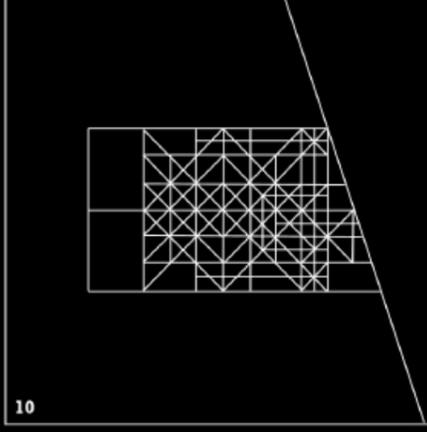
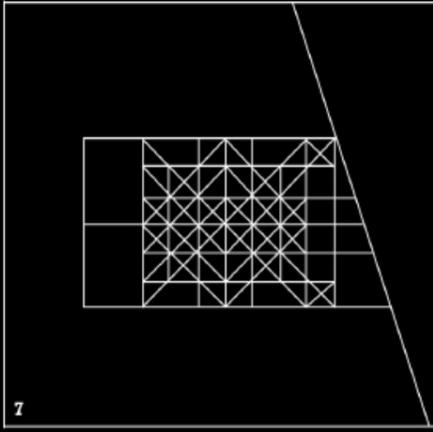
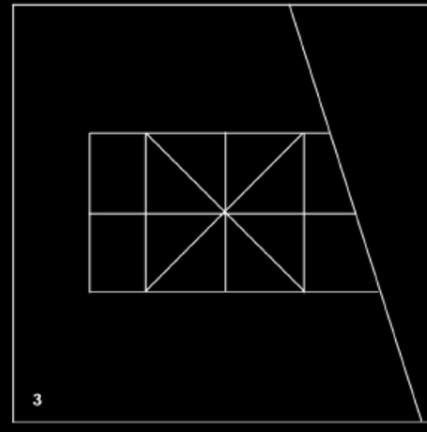
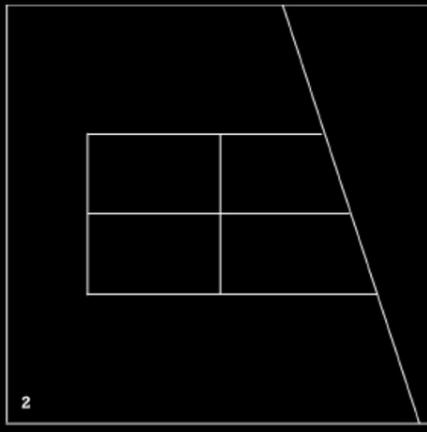
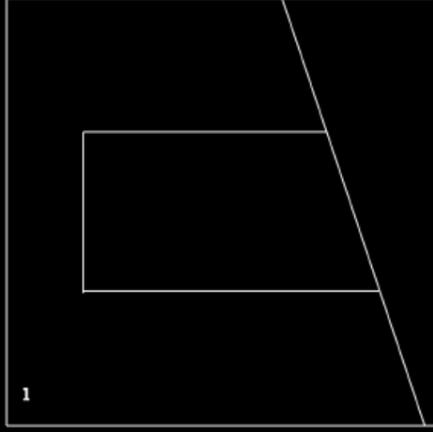
المصرية والعربية ،

في استقراءه لعمارة :

مدرسة السلطان حسن .



منزك البشمى, البحرين

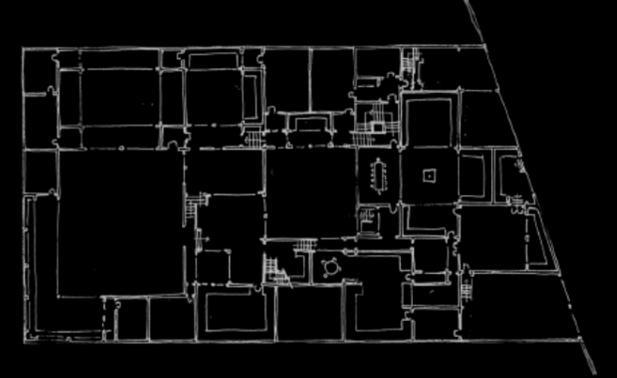
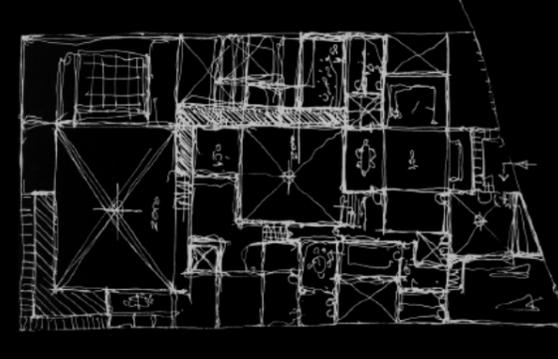
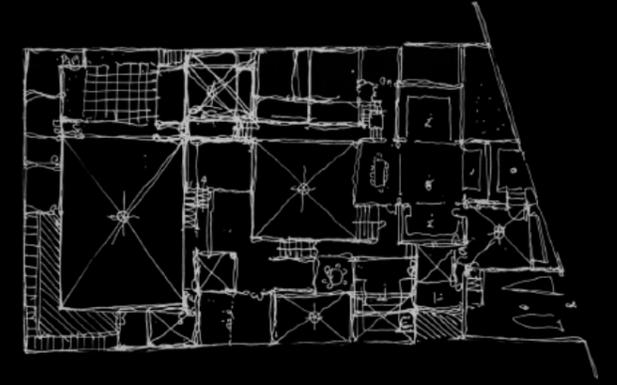
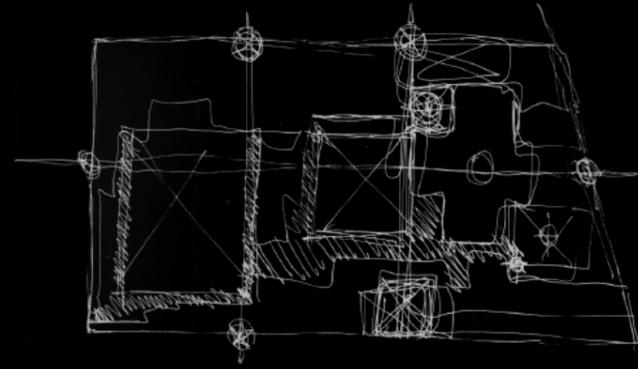


فى بداية كل مشروع هناك نقطة ميلاد متعدد, التي تخلق حالة من الطاقة حوالها . هذه الطاقة هي التي تمنح المكان طبيعته الخاصة. وتأتى من أبعاد و مقاسات الموقع و قراءه العلاقات الهندسية الأساسية

- هناك ثلاث مراحل لازمة لاستكمال المنظومة الهندسية
1. اكتشاف أبعاد الموقع
 2. تحديد نقطة الميلاد
 3. اكتشاف الامكانيات و الطاقات المسترة ليلاذ المربع داخل الحيز
 4. استكمال المنظومة الهندسية بين المربع و مورفولوجية المكان و استكمال الحركة الدائرية و الأفقية

- ثالثا استكمال الحركة الأفقية (الشريطية)
1. امتداد المحور الأفقى للخارج من نقطة الميلاد و المربع الرئيسى
 2. ايجاد المربع الخارجى الذى يمثل النقطة الوسطى بين الخارج و الداخلى .
 3. استمرار الحركة الأفقية فى اتجاه معاكس نحو الجار و تثبيت نقطة نهاية الحركة الأفقية
 4. استكمال الاتزان التناغم بين الحركة الأفقية و الدائرية.

- ثانيا استكمال الحركة الدائرية
1. ميلاد المربعات الثانوية
 2. بداية حركة دوران المربعات
 3. التداخل بين المربعات الأساسية و الثانوية
 4. استكمال حركة الدوران

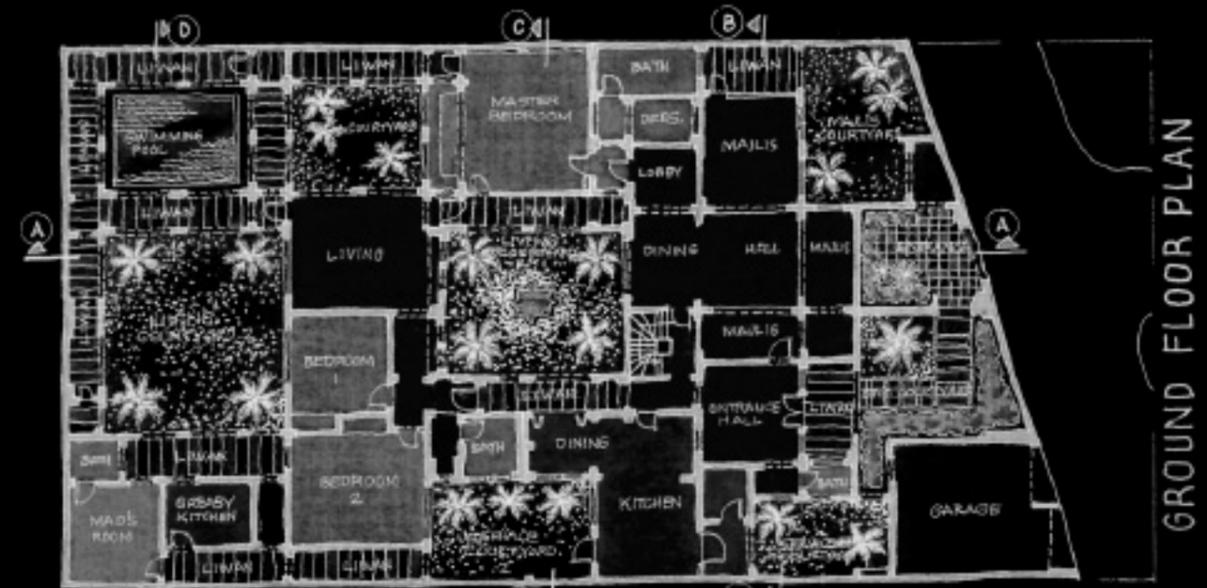


الحلم
كانت الحلم في تصميم منزل لعائلة بحرينية
من الطبقة الوسطى هو تلبية احتياجات الحياة
العاصرة مع الحفاظ على الموروث الثقافي و
الهوية. فدورنا هنا هو تحقيق الحلم بالوارد
التامة.
فالوظيفة العامة تقسمت الى نشاطات و
استخدامات مختلفة أدت الى التسلسل المنطقي
للأبنية الداخلية

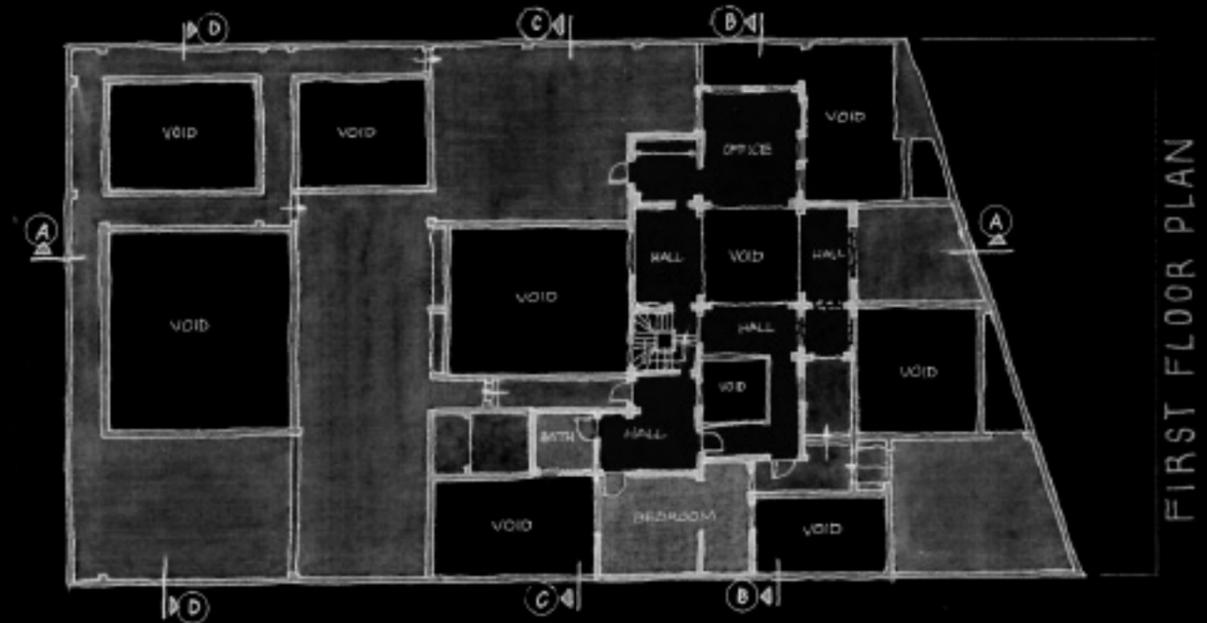


النظام
لم يكن الهدف هو التشكيل أو التكوين المادي
للمنزل بقدر ما كانت الاهتمام باحتواء الحياة
هو الغاية المنشودة. والنظومة الهندسية كانت
هي القانون الذي سيطر على هذه العملية
الإبداعية كما كانت الحال في العمارة الإسلامية
وذلك لمحاولة للحفاظ على التوازن بين
المحسوس و اللامحسوس و الروحاني والمادي.





GROUND FLOOR PLAN



FIRST FLOOR PLAN

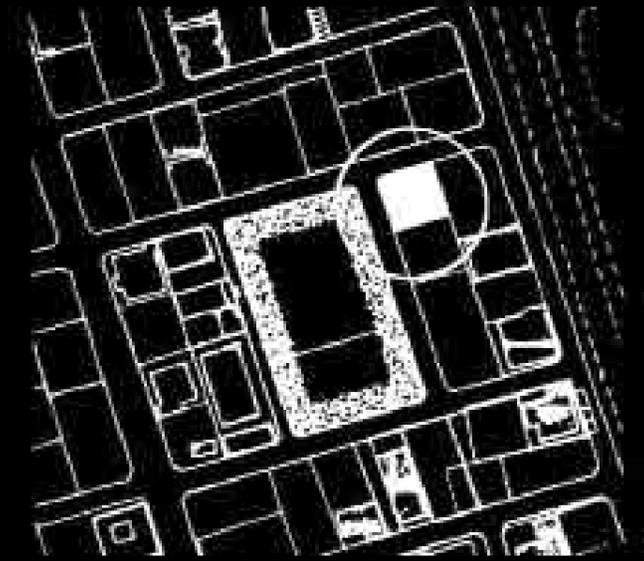


التصميم
 التصميم في هذه الحالة (المرجع) كان النتيجة
 الطبيعية لانخفاض الرؤية (الحلم) للقانون أو
 المنظومة الهندسية الناتجة عن محدودات الموقع .
 فان تغير الرؤية العمارة عن طريق
 تطور المنظومة العمارة الى تصميم
 فراغي متكامل تأثر بإمكانيات الانشاء
 و التكنولوجيا و المواد المتاحة محليا .
 وبالتالي فان التصميم الفراغي قد تطور و
 نما من القانون (المنظومة الهندسية) عاكسا
 الرؤية المشودة

مسجد البديع, البحرين

ان التشكيل في حد ذاته ليس غاية بقدر ما هو وسيلة للاحتواء الجوهر. المكان هنا .. موقع مخصص لبناء مسجد في تجمع سكني بالبحرين منطقة البديع شمال غرب جزيرة البحرين ان التعرف على المكان لعمرائه من خلال المنظومة الهندسية كمنسق أساسي للعملية الابداعية يلزم معه تتبع الخطوات و المراحل الاتية

1. تحديد نقطة الميلاد داخل حدود الموقع المخصص للبناء من خلال فهم التشكيل الهندسي لحدود المكان و التعرف على نقطة بداية له
2. التعرف على الطاقة الكامنة أو الامكانيات المتاحة للمكان
3. تحديد الطاقة الذاتية للمكان , و تحدها هنا في هذا الموقع بالذات بطاقة الحركة الدائرية



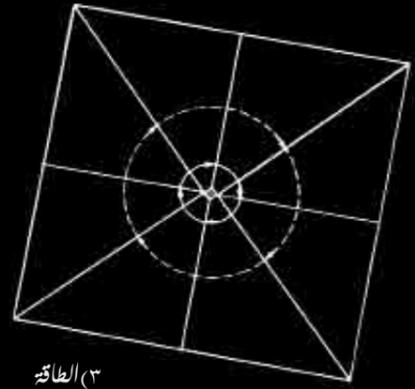
هكذا فان الحركة الدورانية المضادة بما تحفقه من توازن ديناميكي داخل هذا الكيان اما ترتبط ب مركز الطواف في مكة و بالتالي تولد حركة الدوران هذه من خلال الخطوات التالية:

1. تتوالد القبلة و توجيهها عن ازدواجية الحركة الدورانية.
2. من نقطة الميلاد و في اتجاه القبلة يولد مربع تشكيل كتلة المسجد.
3. توجيه المسجد من خلال الإيقاع التواتر الأساسي لحركة الصلوات في اتصالهم الروماني.
4. تحديد نقط الاتصال الفراغي داخل المنظومة الهندسية:

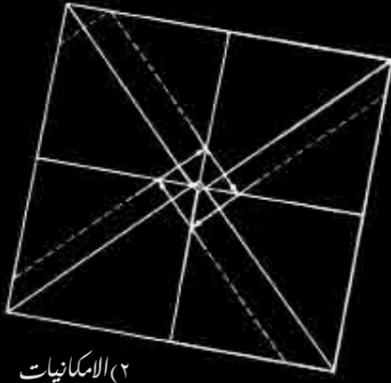
الدخول
المئذنة
الصحن
الحراب.



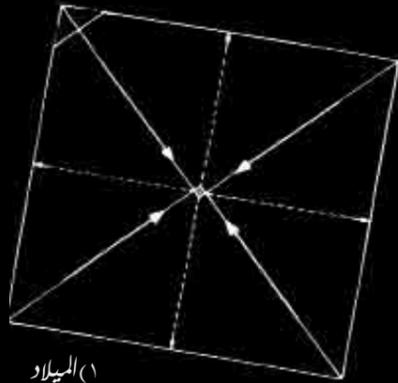
Spatial Communication points of the mosque architecture



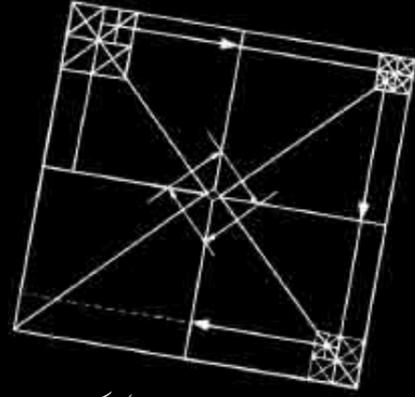
١) الطاقة



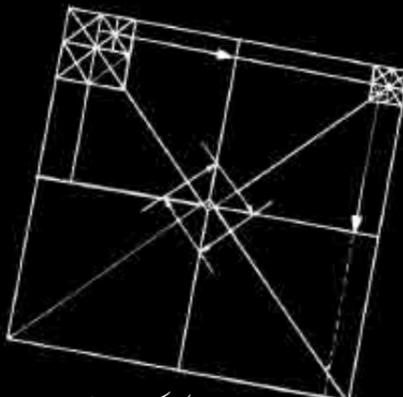
٢) الامكانيات



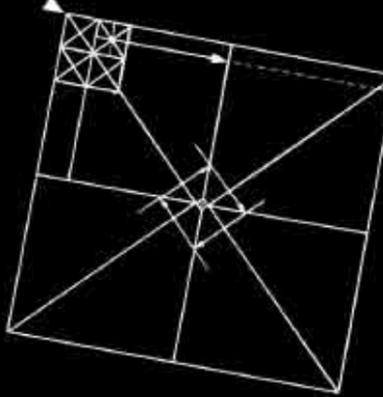
٣) الميلاد



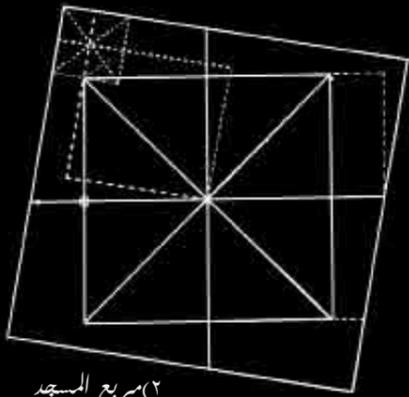
٤) استمرار الحركة الدورانية



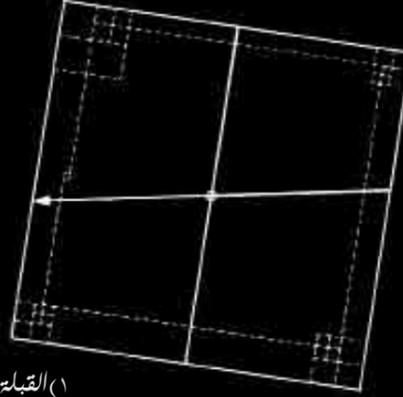
٥) الحركة في اتجاه الدوران



٦) البداية من مربع نقطة البداية



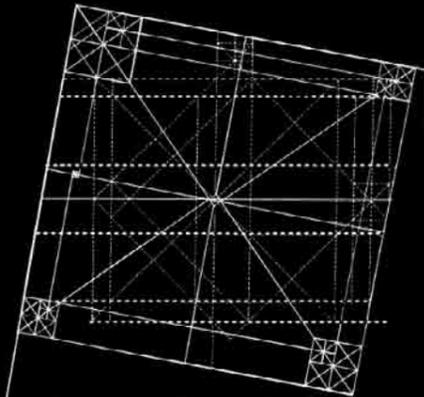
٧) مربع المسجد



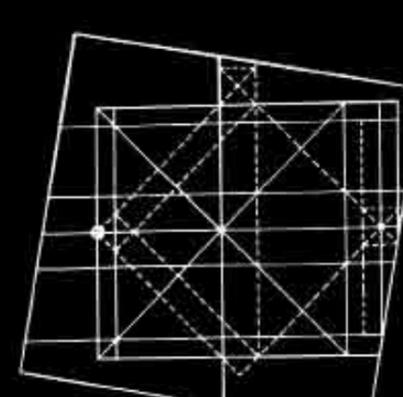
٨) القبلة



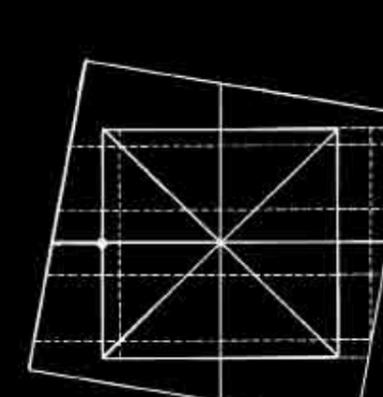
٩) اتصال الدوة الأعلی



١٠) المنظومة الهندسية لعاعة المسجد



١١) نقط الاتصال الفراغي



١٢) إيقاع المسجد و التوجيه



Al-Mihrab

Riwaq-al-Qibla

Al-Liwan

Al-Sahn

Entrance/Minaret

The overall morphology of the mosque

الإنسانى المادى كانت هى نقطة الالتقاء المادية و الرمزية من الفراغ الداخلى الدينى...و تأكيداً لطاقة الدوران للمكانات فان المدخل يؤدى الى صحن المسجد من خلال مجاز يتحرك فيه المصلى فى علاقة مباشرة مع السماء. بالرغم من كونها منفصلة شكلياً عن الفراغ الخارجى و بذلك يكون المجاز مرحلة انتقالية .. و يدور هنا المصلى متجهاً الى الصحن حول مربع المئذنة فى ذات اتجاه حركة الدوران ليدخل فى اتجاه محورى مع القبلة الى الصحن و يتحرك مربع المئذنة فى ركن الصحن بشكل تصاعدى حيث يدور المربع فى نفس اتجاه دوران المصلى الداخلى للمسجد.

ان الموقع تجاوره من جهتى الشرق و الجنوب مساكن ، بينما من تحده من جهتى الغرب و الشمال تحده من جهتى الغرب و الشمال الشوارع الداخلية للتجمع العمرانى .. و من هذه المحددات للموقع كان من الطبيعى أن ترتبط الدكاكين اللعقة بالمسجد بأحد الشارعين و خاصة الشارع الغربى خلف القبلة بالإضافة الى مدخل سكن المؤذن .. بينما يكون مدخل المسجد -كما تحده المنظومة الهندسية- من الشارع الشمالى للموقع .. و نظراً للارتباط المدخل بالماء كما تحده الشوابة الحرفية و الفكرية، و ارتباط الميضة مع مدخل المسجد بعلاقة مباشرة فان نقطة الالتقاء الفراغى على المستوى



Main facade of the mosque in Budayyi - Bahrain



Plan of the mosque in Budayyi - Bahrain

- | | | |
|--------------------------|------------------------|--|
| 1- Entrance | 5- Al-Sahn (courtyard) | 9- Residence of Al-Muezzin |
| 2- Ablution | 6- Al-Liwan | 10- Courtyard of the Residence of Al-Muezzin |
| 3- Majaz of the Entrance | 7- Riwaq Al-Salat | 11- Entrance of the Residence of Al-Muezzin |
| 4- Minaret | 8- Dome of Al-Mihrab | |

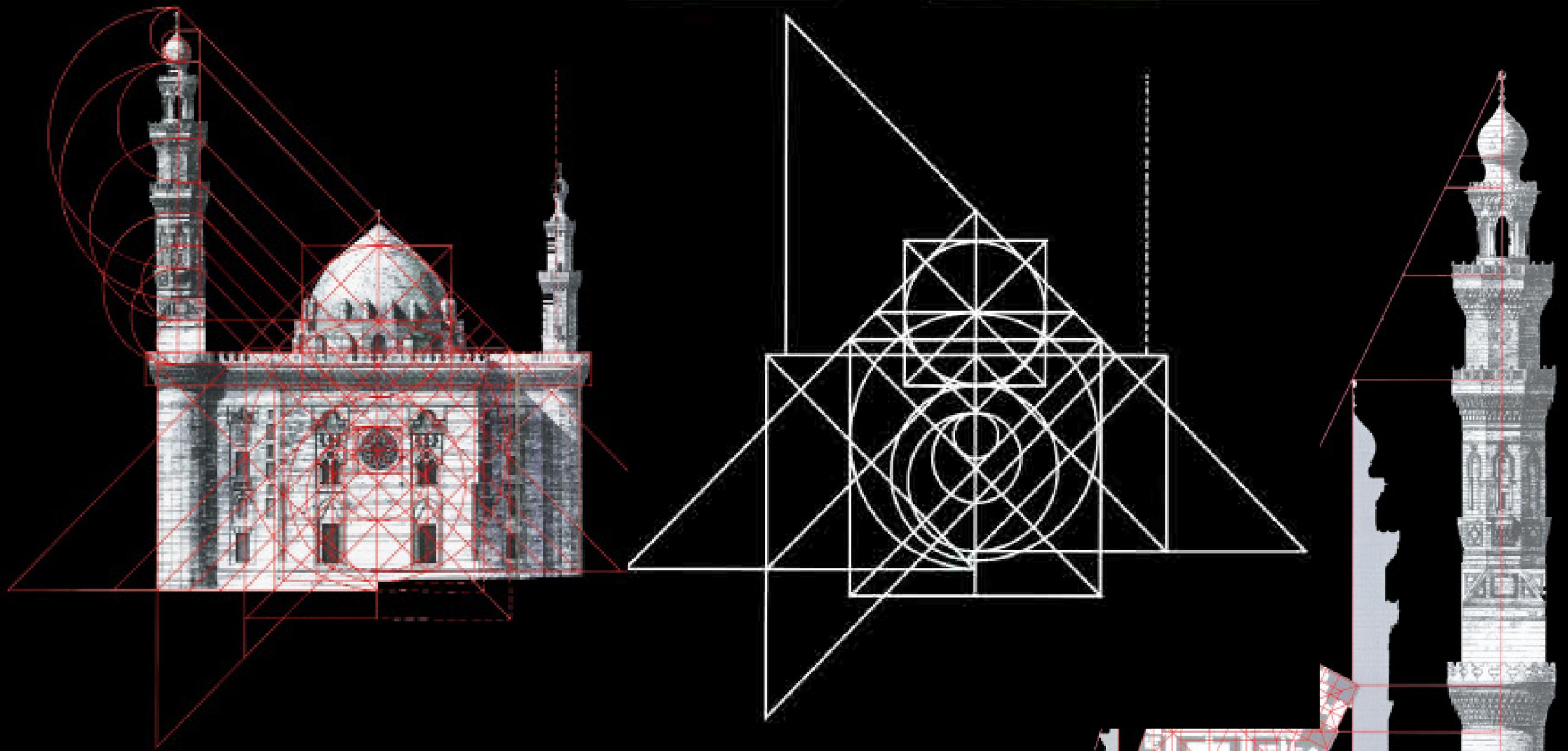
مدرسة السلطان حسن

ان عمارة مدرسة السلطان حسن تقوم على المنظومة المتعامدة للايوانات يتوسطها الصحن المكشوف تتمركز فيه الميضاة بقبتها نقطة تقابل الأرض بالسمااء .. وتكتمل هذه الأتسودة المعمارية هنا بالمآذن و كانت القرار فى مشروع بناء المدرسة و تشكيلها بناء أربع مآذن اثنتان تكتمل القبة بالواجهة الشرقية و لكن تم الاكتفاء بهاتين المئذنتين.

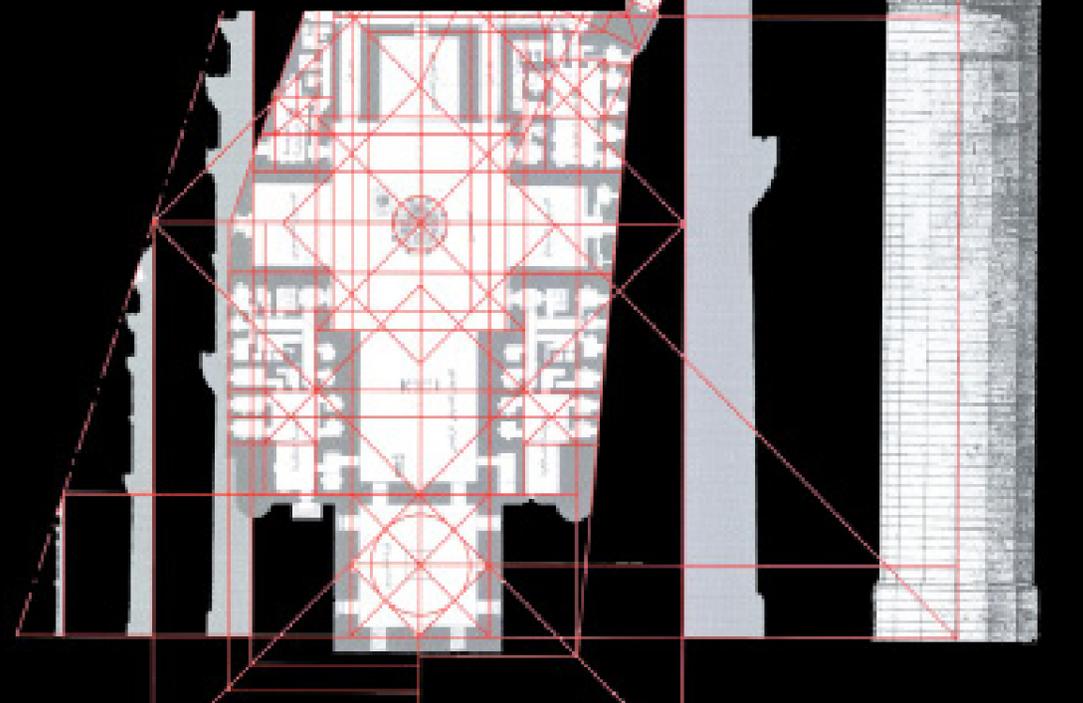




وقد جاءت المنظومات الفنية لعمارة المدرسة بلحنين متداخلين .. و متكاملين أحيانا و متناقضين أحيانا
أخرى . الأول يقنن التشكيل البنائي للكتلة و الهيئة المعمارية الخارجية بكل مكوناتها و مفرداتها التي
تصل في ذروتها عند الثذنة و توأمها القبة , بينما يقنن اللحن الثاني تركيب التوالية الفراغية
الداخلية و تتابع تلك الفراغات توأدها من بعضها البعض . و اللحنين يعتمدان على ذات المبدأ
و نفس الارتفاعات المعمارية الك تدرج من القامات الثلاثية و هيئتها الهندسية الثلث و القامات
الرباعية و هيئتها المربع لتصل الى القامات المثلثة و هيئتها الهندسية الدائرة و مركزها المركزية



ان هذه السمفونية وضع ايقاعاتها العمارى البدع فى البناء التجريدى يجمع فى مستوياته المطلقة بين التشكيل النظم للفراغات فى السقط الأفقى و العلاقة الجدلية فى البعد الثالث لتلك الفراغات من جهة و الكتل البنائية الشكلية لبيئة البناء داخليا و خارجيا من جهة أخرى . و هكذا جاءت عمارة مدرسة السلطان حسن بعقريّة تصميمها فى ابعادها الثلاثية لتخرج بالانسان و العمارة الى البعد الرابع الحركى و هو «الزمن» بمفهومه العلمى فى التتالية الفراغية , ثم لتعرج بهذا الانسان و عمارة الى البعد الخامس و هو التجريد المطلق و الرمزي المتمثل فى القانون الـ منظم لتلك العمارة فى أبعادها المختلفة و هنا تكتمل الرحلة عند النهى



نسق المدينة ..

أمنية خليل



صورة جوية للنسيج العمراني للقاهرة المصدر Micheal Poliza Photography

الانسان كائن تكوينه مليء بالتركيبات الناتجة عن التجارب العديدة التي يمر بها منذ مولده ، تختلف تلك التجارب من شخص لآخر ومن منطقة لآخري وايضا من حقبة لآخري.

سؤال يطرح نفسه حول ماهية ما يريح الانسان؟

ومتى يشعر الانسان بانسانيته الخاصة؟

هل يرتبط ذلك بالمكان او بالزمن؟

ام انها عناصر يختلف تقديرها من شخص لآخر؟

وماذا يحدد علاقة الانسان بالمكان؟

هل الطبيعة وقواها ام النظام الحاكم وسطوته البشرية؟ ام المخططين !..

ام الانسان بنفسه ولنفسه. فعلاقة الانسان بالمكان علاقة تبادلية ، يؤثر فيه ويتأثر به ، كما يعيد الانسان دائما صياغة علاقته بالمكان وتحكم هذه العلاقة مجموعة من العناصر الثابتة والمتغيرة. وما يعيننا هنا بين هذه الكلمات ان نجد اجابة لاشكالية : ماذا يريح الانسان ... وفي أي نسق وجد الانسان نفسه؟

هل خلق السكان نسق تلقائي عفوي لعجز الحكومة والمؤسسات عن تلبية احتياجاتهم الاساسية؟

وهل ما بنوه وخلقوه مناسب او غير مناسب؟

وهل ما علمتنا اياه الثورة الصناعية وصناعة السيارات ومعاييرها مناسب لانسانيتنا جميعا ام مناسب لبعضنا فقط؟

تكونت مدينة القاهرة عمرانيا منذ ٦٤١ ميلادية ، منذ وطئت قدم عمرو ابن العاص مصر ، وبدأت صحراء القاهرة الشرقية في التحول الي مدينة سكنية ، وتطور هذا النسق العمراني من الفسطاط الي العسكر الي القطائع ومنه لقاهرة المعز ، وحتى حينه كان المركز السياسي لمصر يعبر عن مركز ديني سلطوي. حيث كانت السلطة ونظام الحكم معتمد اساسا علي فكرة الخلافة والحكم الديني المستمد من الشريعة الاسلامية من شبه الجزيرة العربية.

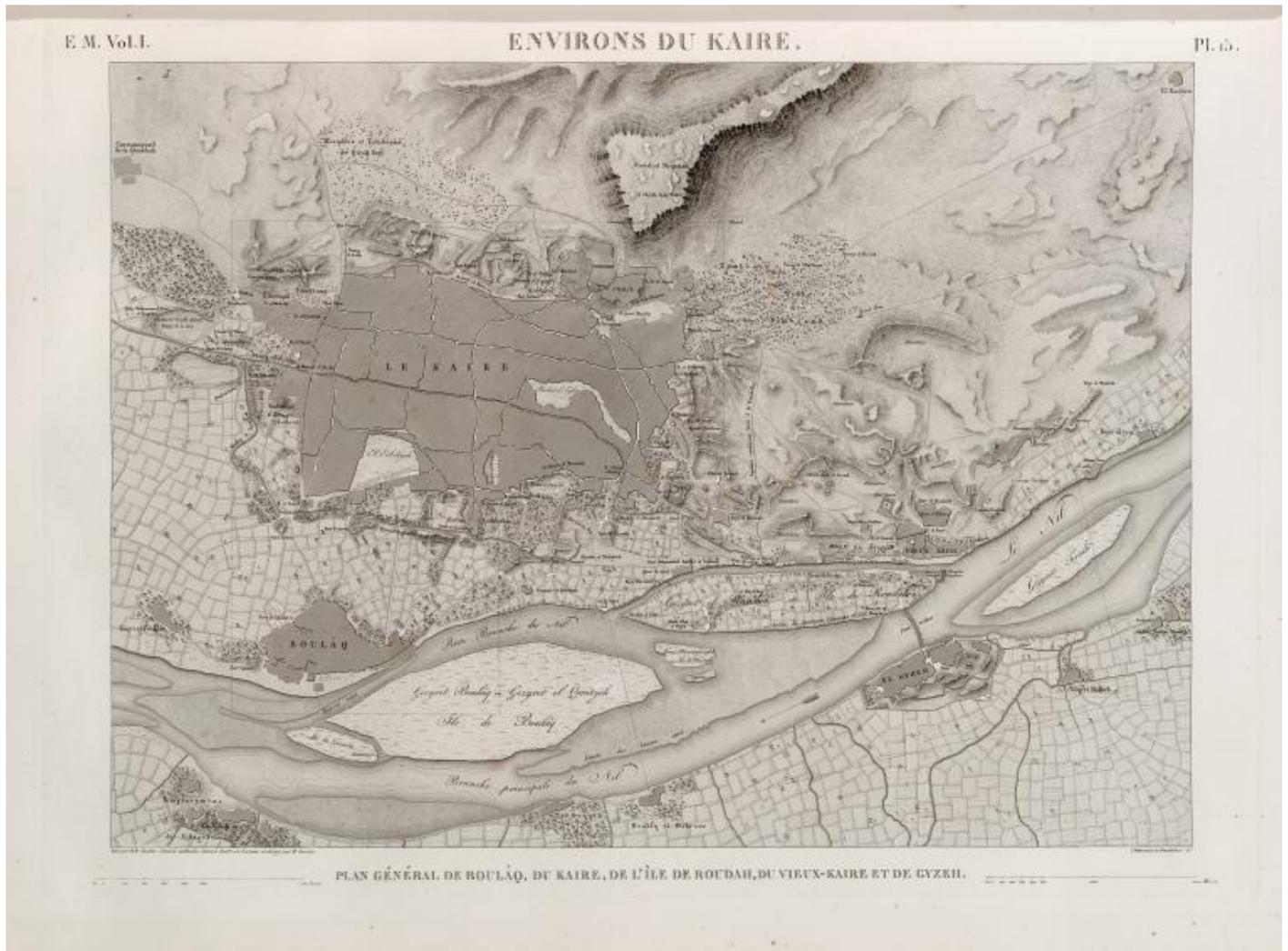
وبمجيء صلاح الدين الايوبي وفتح مصر في ١١٦٩ وتزامنا مع سقوط الخلافة الفاطمية في القاهرة ، تحول المركز السياسي لمركز عسكري.

واصبح نظام الحكم وتدرجاته وعلاقاته مرتبطة بالسلح والنظام العسكري الصارم.

وعمرانيا اخذ صلاح الدين في تجميع العمران القائم تحت اسوار واحدة والتي اخذ في بناءها حول المدينة وتحديد حدودها الجغرافية العمرانية وضم الاربعة مدن السابقة سويا ، وغالبا لم يكن يقصد فقط حماية المدينة من المعتدين عليها عسكريا ، بل ولتحديد ملكيته وسطوته علي الشعب.

وبملاحظة خريطة القاهرة وقتها ، نجدها متجانسة ، لا تشعر انها منفصلة عن بعضها البعض ، فانساق الشوارع وخطوطها متضامة متجانسة، ويعود ذلك لتجانس الثقافة ونظام الحكم داخل الحدود الجغرافية ، بالرغم من التاريخ المركب الذي مرت به القاهرة انذاك لكنها كانت تحيا جميعها تحت نفس المظلة.

مر ما يزيد عن الف ومائة سنة وفي عام ١٨٠٥ ومع اندلاع الثورات الصناعية في العالم وسقوط الخلافة العثمانية ، وظهور نوع من الامبرالية الجديدة الذي حلل الاستعمار لجميع دول العالم عندما دخل محمد علي مصر وبدأت الاسرة العلوية في حكم مصر.



خريطة الحملة الفرنسية للقاهرة ١٧٩٨

PLAN DU KAIRE ANCIEN



- خريطة التعديلات المقترحة على تخطيط القاهرة ١٨٧٨ -
cairo Map by Erhard

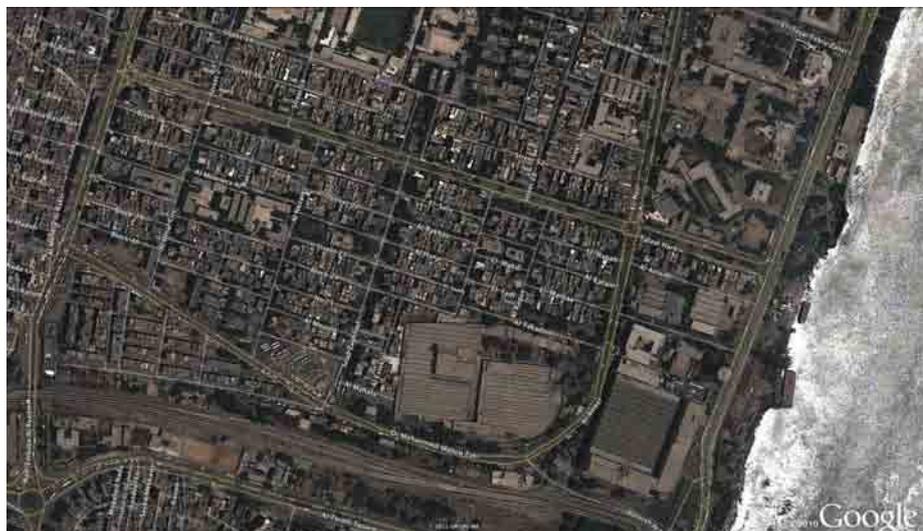
مع الوقت بدأ اسماعيل باشا بمساعدة علي مبارك وزير الاشغال وقتها بصنع ثورته العمرانية الخاصة وحلم ببناء القاهرة لتكون باريس الشرق بشوارعها المتسعة وميادينها المبهرة.

ومن هنا بدأ نسق جديد يطرق ابواب المدينة بل ويخترقها ويغير بعض من معالمه وتلاحظ فروق الخريطة انذاك ، فظهرت تلك الشوارع الواسعة والميادين الجميلة الخضراء والتي تنص علي نسق مختلف تماما للحياة ، نسق حملته وبدعته الصناعة وليس الانسان ، حملته السيارات الجديدة.



مجموعة خرائط توضح التطور العمراني للقاهرة منذ ١٨٠٠ - المصدر : مجهول

وعلى التوازي يبدأ ظهور وانتشار الطبقة الوسطى في المجتمع المصري معتمدة على المهنيين والموظفين . وايضا تزدهر الرأسمالية والفكر البرجوازي ، ومعهم تبدأ البنوك ونوع جديد من الاستثمارات يطأ ارض مصر متأثرا بالعالم وتظهر الشركات المتعددة الجنسية مثل شركات المعادي وغيرها وتنشأ احياء جديدة مثل جاردن سيتي والمنيرة ومصر الجديدة. وفي ١٩١٩ تظهر الحركة الوطنية مبتغاها رفع القدرة المصرية وتحسين الاقتصاد المصري بشكل وطني ، حيث سقطت الخلافة العثمانية في القسنطينية ١٩٢٢ . لم تحدث تلك الصحوة الوطنية والثورة الصادقة اي من التغييرات علي العمران القاهري حيث سرعان ما خمدت بفعل قهر الاحتلال الانجليزي ولم تخلف تغييرات في النظام الحاكم. واصبحت كامنة داخل



مسكن العمال بامبابية بجوار المطبعة - المصدر Google Earth

الناس حتي قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ وتولي جمال عبد الناصر مقاليد الحكم ، ومحاولات لنشر الفكر الاشتراكي وصحوة وطنية مصرية فائقة ، ومعها يبدأ نوع من المركزية الحاكمة والتي تؤدي لنزوح المصريين من الريف الي المدينة بحثا عن فرص عمل وخدمات وبدأ المجتمع في خلق انساق مختلفة للاسكان واخذ النظام الحاكم في تصميم التجمعات العمالية السكنية في بقع مختلفة من القاهرة مثل حلوان وإمبابية ، كما بدأت ظاهرة المجتمعات التلقائية في الظهور للنازحين من الريف.

ومع انور السادات ومحمد حسني مبارك ، حيث القاهرة ومصر جميعها حالة من الانفتاح الاقتصادي الغير محسوب ، وفتحت الاسواق للاستثمارات الخاصة، كما اصبح سوق العقارات محكوم بمظاهر عدة غير متوازنة حيث بدأت ظاهرة "التسقيع" في الانتشار وهي شراء شقق او اراضي وغلقها لحين ارتفاع سعرها ثم بيعها.

ومع انتشار الفكر الرأسمالي عامة في مصر ، ظهر امامه مظاهر الفقر المدقع وانتشرت ظاهرة المجتمعات التلقائية وهمشت عن عمد بل واتهمت بالعشوائية نسقا وموضوعا ، وبداية ظهورها سببا لنظام الحكم المركزي الذي نحياه منذ

عقود في مصر ، فالقاهرة العاصمة هي التي تمتلك كل الميزات ، ينزح الساكنون اليها ، رغم صعوبة الحياة فيها ، ويقيمون فيها بأنساقهم المختلفة

وهذا التحول في النظام الحاكم وسياساته نحو الرأسمالية الحاكمة الشرهة ، أصبح للتخطيط أسس وللتناقض صور ، فالابراج تطل علي واجهة نهر النيل القاهري لتحرم كل من يعيشون ورائه من هواء نظيف ومنظر المياه الذي تصفي اليه الروح

واصبح كورنيشي القاهرة والجيزة ملك للقطاع الخاص وملك لأفراد ولا تستطيع أن تتمتع بأية من المناظر الطبيعية دون مقابل مادي ، مما يؤكد علي الحرمان وعدم عدالة توزيع امكانات العاصمة علي مواطنيها ، فنحرم مواطنين اوجدا بالفعل حلولا لمشاكل سكنهم بأنفسهم وبنوا مدنهم بطرقهم واموالهم الخاصة.

ومن هنا اتحدث عن القاهرة العاصمة الان ، فما نلبث النظر الي جزء من القاهرة ونجد معالمه في حالة عجيبة من التناقض والشوارع لا تتم عن حالة تجانس.

بل بالعكس تتم عن تناقضات وتعاكسات والتي يعكسها النسق الاجتماعي الموجود بين طبقات المجتمع الان.

فلماذا توجد حدائق الاهرام بنسقتها من شوارع متسعة وعمارات منفصلة بجانب نزلة السمان ذات الشوارع الضيقة والبيوت المتلاصقة المتضامة ، نفس النسق بالمهندسين وبجانبها بولاق ، فروق شاسعة في النسق العمراني والجغرافي ؟

هل لان المهندسين تم تخطيطها مسبقا ؟

او ان بولاق الدكرور حي تلقائي وعفوي بناه سكانه؟.

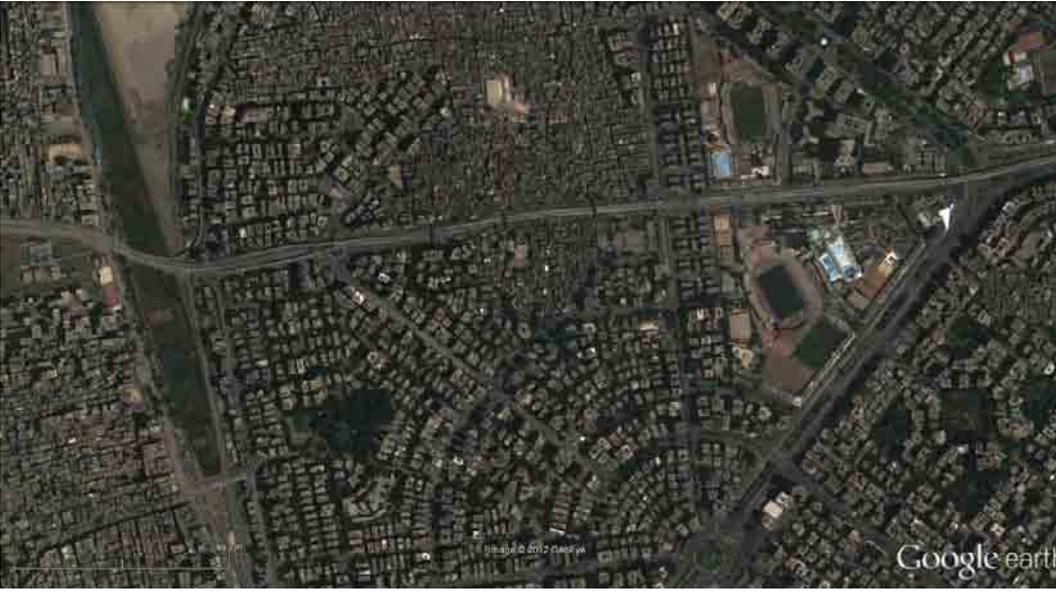


مساكن رملة بولاق في جوار ابراج ساويرس - تصوير امنية خليل

من شوارع متسعة وعمارات منفصلة بجانب نزلة السمان ذات الشوارع الضيقة والبيوت المتلاصقة المتضامة ، نفس النسق بالمهندسين وبجانبها بولاق ، فروق شاسعة في النسق العمراني والجغرافي ؟

هل لان المهندسين تم تخطيطها مسبقا ؟

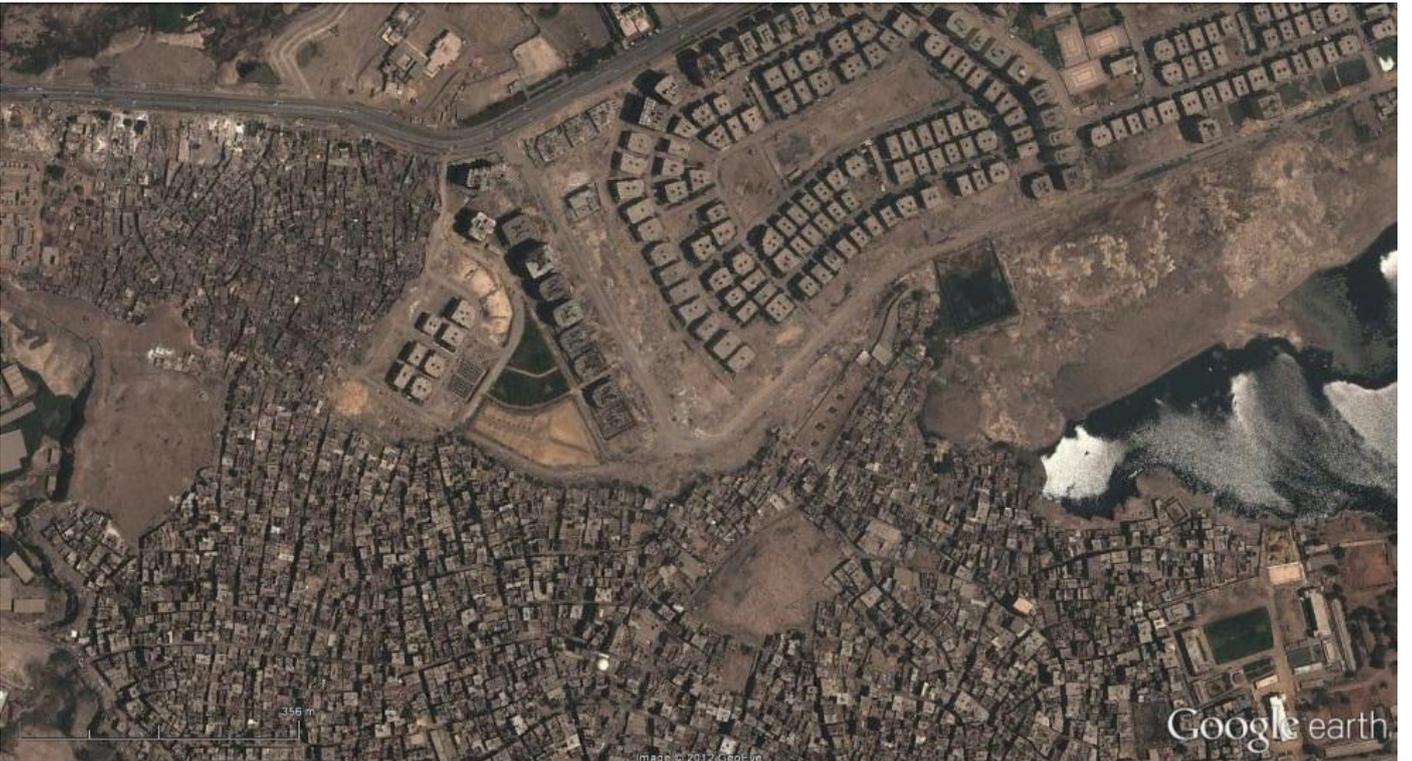
او ان بولاق الدكرور حي تلقائي وعفوي بناه سكانه؟.



خرائط توضح التناقضات
في الانساق العمرانية -
الاولي لحدائق الاهرام
وامبابة والثانية المهندسين
وبولاق الدكرور والاخيرة
لمصر القديمة ومساكن
الفسطاط .

المصدر:

Google Earth



ان ادراكنا منذ مولدنا يعتمد علي تكوين افكارنا وادراكنا لحقيقة الامور يعود بنا لمحل ميلادنا والمجتمع الذي يحيطنا ، فنتعلم عن الصح والخطأ منه ، كما ندرك كوننا اناث او ذكور وتبعاته من المجتمع المحيط ، ويصير ما نتعلمه ونكونه داخلنا من افكار ورؤي تتبع ما نتعلمه وندركه خلال رحلة حياتنا.

لقد ولدت في شارع عرضه ١٠ أمتار ، والبيوت كانت متلاصقة ومتضامة ، شارع سكني صغير ، ولأحضر حلوي يجب ان اذهب الي الشارع الاكبر المتفرع منه شارعنا ، ولكي احضر لعبة ، يجب ان اذهب الي الشارع الرئيسي الذي تسير فيه السيارات والاورتوبيسات ، ومن ثم بعد عدة سنوات انتقلنا لحي اكبر ، تخطيطه احدث والشوارع به جميعها عريضه وهنا اخيرا سمح لي ان اقتني عجلة حيث انها منطقة حديثة عمرانيا وبها نوع من الامان تجاه السيارات ، واخذت فكرتي واحساس بالتخطيط يتغير الي مفهوم الشوارع الرئيسية الواسعة والمناطق السكنية التي لا تحتوي خدمات بل توجد جميعها علي الشارع الرئيسي ، بعدها بسنوات عدة تصل قرابة ١٦ سنة انتقلت الي وسط البلد حيث باريس الشرق كما حلم بها اسماعيل باشا ، وتفاعلت مع كل ركن في الشوارع ، حيث تصنع صداقات مع كل البائعين حولك ، شوارع واسعة ولا يوجد ارصفة كحال القاهرة جميعها ، اسواق ومحال تجارية بمختلف الانواع ، وافدين ونازحين من المنطقة طوال الوقت ، سواء للشراء او موظفين او مجرد رواد مقاهي. ومع احداث ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ ، اصبحت وسط البلد علامة في التاريخ المصري ، ويأتي اليها مختلف الناس للفرجة علي ما يسمي بايام الثورة. وهكذا اجد نفسي مرتاحه في اطار يشبه ما ولدت فيه ، وعادة اجد ما يحدث في الاحياء التلقائية – العشوائية بمسمى المجتمع- انساني لعقلي وروحي ، واجد التنقل بين شوارعها المختلفة مريح رغم الباعة ورغم الاطفال الذين يلعبون في كل مكان ، لكنني اجد نفسي آمنة ومطمئنة. هل السير علي القدمين في شوارع المجتمعات المتدهورة عمرانيا والتلقائية والتي بناها سكانها وخططوها غير مريح أو غير امن؟ او نجده غير مناسب عمرانيا

السكان بنوا بأنفسهم ولأنفسهم هكذا لاسباب مختلفة ، فعلي الاراضي الزراعية يترك كل منهم جزء من ارضه خصيصا للشوارع ، وفي المناطق الاخري هو تخطيط وتصميم تلقائي قد يعتمد البناء نفسه علي احدي المقاولين من أهالي المنطقة وقد لا يعتمد تماما الا علي السكان نفسهم. ولست هنا بمنأى أن ادافع عن المناطق التلقائية وتخطيطها ونسقتها ، ولا احاول ان اقول انها الصحيحة او المريحة او الاكثر أمانا ، ولكننا نحتاج أن نتأمل هذا النسق ونتسأل لماذا بناه الناس ولماذا يحتاجون ان يعيشوا بتلك الانماط وليس بالأنماط المصممة من قبل المخططين؟! نعم ٦٥ ٪ من سكان القاهرة يعيشون بمناطق لم تصمم من قبل المخططين ، وهذا ليس معناه انها بالمثلي ، ولكنه نسق واجب تأمله ودراسته ، لماذا لا يوجد بتلك الاحياء بواب او شركات أمن لتأمين المباني والسكان.

أنها انساق وخطوط ، مربعات مثلثات ودوائر ، تكون مجموعة شوارع متراسة وبيوت تتحدث لغة لا نعيها ولكننا نعيشها كل يوم ونحياها ، نتأمل الشوارع كل يسوم وتصل علاقتنا بها اننا لا نري التفاصيل لاننا نسلكها يوميا ، ولكننا نقف جميعا لتعجب لتغير شكلها او ازالة احدي بيوتها القديمة او اضافة عمارة ارتفاعها يزعجنا ، انها تفاصيل المدينة. قد لا ندرکها من الخريطة ، وننظر للوهلة الاولى لنتساءل هل تبدو مدينتنا او منطقتنا السكنية هكذا علي الخريطة ونبدأ في استيعاب التفاصيل.

ونكمل طريقنا لا نعلم ماذا يغير شكلها وطرقها ومن يأخذ قرار تغييرها وتشكيلها.

وقد نهجرها قائلين انها لم تصبح مدينتنا من الان وان اخرون سكنوها ولا تصلح لاهلها ، او نعود من الغربة قائلين اننا توحشنا تفاصيل مدينتنا رغم زحمتها ومصاعب الحياة بها. انساق نعيش ونولد ونحيا بها ، نؤثر فيها وتؤثر فينا ، تشكل حياتنا ونشكلها نحن بطريقة استعمالنا لها.

ولكنها اخيرا المدينة العاصمة القاهرة وتحوينا جميعا رغم كل الانساق الموجودة بها. واعد لسؤالي الاصلي : ماذا يريح الانسان ...

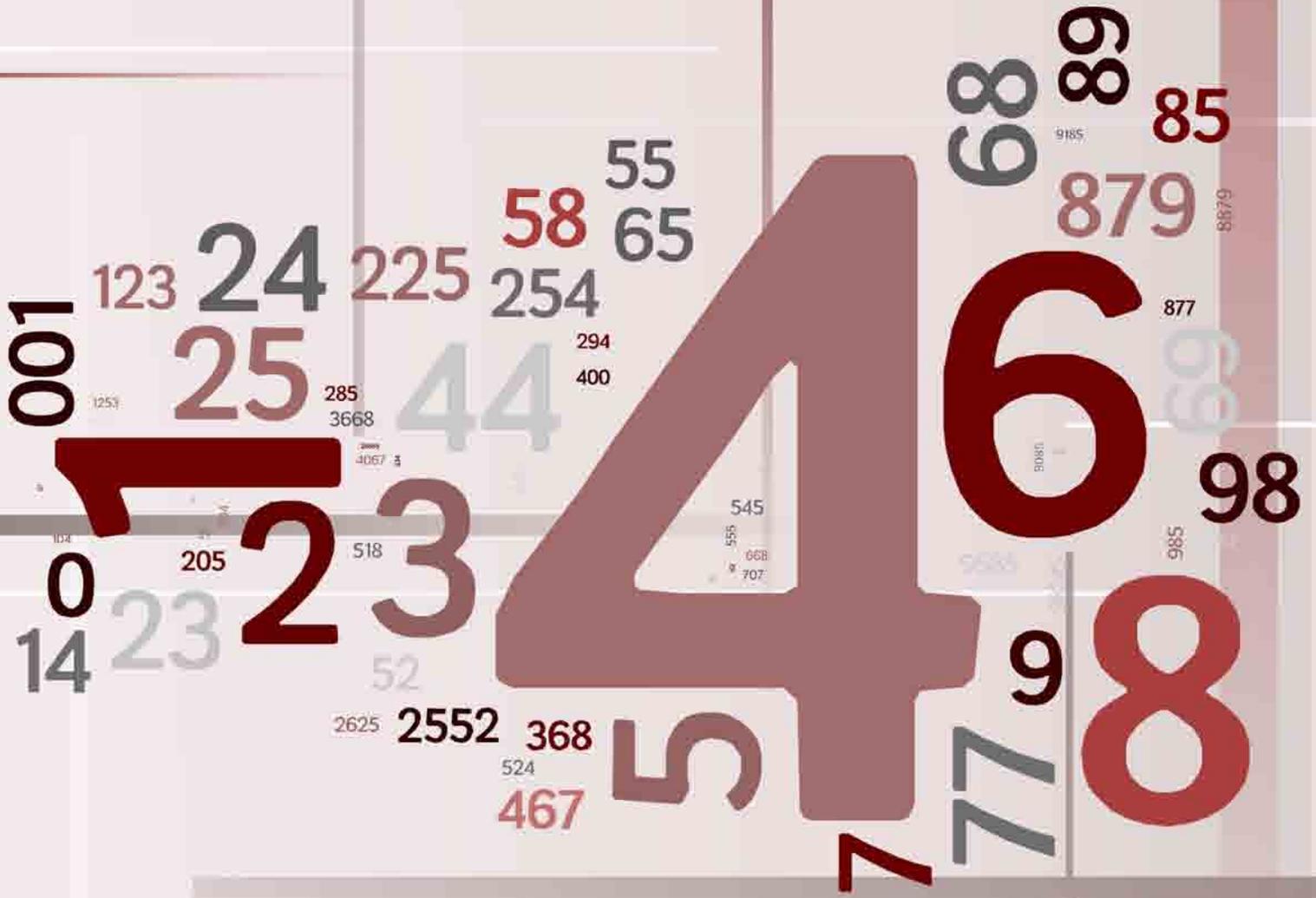
وفي أي نسق وجد الانسان نفسه؟ هل خلق السكان نسق تلقائي عفوي لعجز الحكومة والمؤسسات عن تلبية احتياجاتهم الاساسية؟ وهل ما بنوه وخلقوه مناسب او غير مناسب؟ وهل ما علمتنا اياه الثورة الصناعية وصناعة السيارات ومعاييرها مناسب لانسانيتنا جميعا ام مناسب لبعضنا فقط؟ واجد الرد عليه مركب كما هي طبيعة النفس البشرية والتي يظل يدرسها علماء الاجتماع والانثروبولوجيا لسنوات وحتى الان وما يزال العديد مجهول وغير معروف عن ماهية النفس البشرية. لكن العلاقة التي تعنيها هنا هي علاقة الانسان بالمكان وما يترتب عليها ، فالمجتمع يعملنا منذ الصغر الصواب والخطأ وان الشوارع المتسعة افضل ، ولكن تلقائية الانسان وعفويته تجعله يختار نسق متضام حميمي وضيق نوعا ما ، وكلمة ضيق ليست بمعناها السلبي ولكن بمعناها الذي اختارته هؤلاء الملايين من المصريين كي يعيشون فيه.



عرف الإنسان المصري المنظومة من خلال الدورة الحياتية للأرض، حيث وجد ان الوقت منظومة ترتب الأحداث ويترتب عليها أحداث، ولاحظ نمطية تكرار بعض الظواهر وعلاقة ذلك التكرار بالزمن، و تأمل في إرتباط العناصر المرئية في فضاء السماء بالعناصر الملموسة في فيضان نهر الحياة، وكانت تلك المشاهدات هي البداية، هي نقطة انطلاق الإنسان في المشاركة في ذلك الحوار الكوني فيما تفاصيل حياته وابداعاته على الأرض. بدأ بإستغلال ذلك في تقنين وجوده وإضفاء لمستته على دورة الحياة. كانت البذرة الأولى التي أنبتت فحصدت هي التي أعطت، عندما توسع الإنسان وقد كشف جزء من اللغز، وإزدادت المساحة المزروعة وتنوعت المحاصيل، واصبح حتميا مع التوسع وجود حدود لحفظ الحقوق، وظهرت حاجته الى الحد الفاصل بين ما هو مملوك وغير مملوك، وزاد تغير ملامح الأرض قبل وبعد الفيضان من تعقيد احتياجه الى تقنين تلك الحدود والفواصل بصورة ثابتة لا تتأثر بالمتغير الفيضان، وفي لحظة إبداعية رسم الخط ثم تولدت الخطوط لتشكل محيط، فالفيضان حتما سيمحو الحدود مما تطلب معرفة المساحة المملوكة الأساسية أولا ثم إعادة تحديدها لاحقا بعد إنقضاء الفيضان، وافرزت تلك الحاجة علوما تهتم بمعرفة و بتحديد الأبعاد ورسم محيط ما معلوم بخطوط موضوعه، ومع مرور الزمن أصبح ما يميز الحياة والعمارة المصرية القديمة هو الأبعاد الهندسية وكيفية توظيف مهارة تحديد الخطوط في الواقع. وهناك برديات عديدة توضح مراحل التطور الفكري لتلك الرؤى، فالقدرة على الإستيعاب العقلي لمنظومة بناء كالهرم لم تكن إلا نتاج ذلك النضوج الفكري، وتتابع ادراك الإنسان المصري لحدود وجوده في الوادي مسبقا وما يحده من الغرب والشرق بتلال صخرية فهو محاصر بتضاريس طبيعية تأقلم عليها وتعايش في ظلها. بدأ الإنسان يفرض على الأرض منظومة حدوديه بشرية تضيء الشريعة بإستغلال فضاء ما وتؤكد تبعيته لشخص أو مجموعة محدده من الناس تجمعهم فكرة ما. وهنا تولدت الحضارة فقط عندما تناسق الإنسان مع المنظومة وبدأ حوار، فبعد سنوات من إحتلاله لمقعد المتفرج، انتقل الى مكانة الفاعل، تأمل وكشف بعض من خبايا تلك المنظومة الكونية، فعرف موقعه وأدرك حتمية تحاوره مع المدرك، لتقنين وجوده في ذلك المحيط اللانهائي. وبدأت الحقائق الخفية تظهر بالتدرج شيئا فشيئا الى أن وضعت أسس لقوانين مستنتجة، قوانين حتمية للحفاظ على المنظومة، فالحفاظ عليها يعد من صميم ضمان الإستمرارية. وهكذا، المصري القديم، وواقعه الذي تحده معطيات طبيعة جغرافيته، الثبات وإستمرارية دورات الزمن المتتالية، فعندما راقب استوعب، إطمئن حين كان يترقب المعلوم، فالمعرفة بالشئ تغطي على حالة القلق وخطورة ما قد يسببه مخفيات الأمور، إدراك محددات المكان ومتغيرات الزمان كان الأساس. إنتهاج ذلك المنهج، الرصد فالإستيعاب ثم التفاعل. الرصد قد يطول لعدة أجيال، بل لتراكمات ثقافية جزئية من أزمنة سحيقة، وعند توفر ما يلزم، يتركز فتولد منظومة مستنتجة، وفي إستيعابها يكمن الجوهر،

فهي الأشمل بمتغيرات الثابت وجمود المتبدل, تلك هي المعرفة, فالإستيعاب والتفكر يرتقى بمعرفة الأمور الى درجة الحكمة, هي مرحلة نضج التعامل مع المعرفة, الحكمة فى فهم مسببات الأمور, تظهر إنعكاسات ذلك فى كل جوانب الحضارة المصرية. ومن صميم المعتقد المصرى القديم أن الكون لا يستقيم إلا بتوازن المنظومة وإلا تلاشت الإستقامة وحلت الفوضى, تتبلور تلك الفكرة فى "ماعت" الحق, العدل النظام. وترمز لها بالريشة. تترسخ فلسفة ماعت عند المصرى القديم فبعد ان كانت تتركز معانيها فى فكرة الحق إتسعت تباعا و" صارت تعبر ايضا فى نظر عقول رجال الفكر فى الدولة القديمة عن معنى النظام القومى أى النظام الخلقى للامة والكينونة القومية التى تسير تحت سلطان إله الشمس" فجر الضمير. تلك التوسع فى المفهوم يعكس رقى وبلوغ الفكر الإنسانى فى ذلك الوقت لمرتبة متحضرة, فربط فكرة حتمية سيادة العدل ليتحقق إستواء المنظومة الكونية. نرى ذلك واضحا أيضا فى مراسم محاكمة الأموات حين يسئل هل كان ينطق "الكلمة الموزونة", تعبير ظاهريا بسيط لكن فى غاية العمق, فهو يلخص الحكمة البشرية, فكل كلمة تنطق قد تثقل جانب من الميزان لترجح فكرة على عكسها. وسمة التدرج تصاحب الفكر المصرى من قديم الأزل, فكما التدرج فى البناء, المنظومة المطلقة تتولد من تدرج فالنقطة مع الحركة تصبح خط ثم تتحرر من إستمرارية الخط الى مسطح, وعند تطلع السطح الى أعلى يفرض نفسه على واقع الفضاء. فى فرضية منظومة يسعى الإنسان لغاية بعينها وهى التكامل والانسجام مع الكل, فبتولد المنظومات يستشعر الإنسان بمفاهيمه ومدركاته الغير ملموسة تخاطب لغة المنظومات الفرضية ما هو معتقد, حوار مجرد, لا يشوبه متضادات, سمته التناغم, قد يقصد منه ما لا يفهم... و ما يفهم قد يتسع لىحوى أبعاد وقراءات أزمنة أخرى. تأثيرات كل ما هو محيط تتجلى فى منظومة المسئلة بقمته المحددة تخاطب إشراقات الشمس المبكرة, لتعلن إنفراد وأسبقية ذلك المكان بعلم الأمور, فالقوة لمن يبصر ما هو غير معلوم للبقية بعد, ذلك التشابك بين المعتقد بالمحيطات هو ما يولد تلك المنظومة المحكمة, فالمنظومة هي نتاج الواقع المحيط. تلك هي لغة حوار المصرى القديم مع كل ما حوله, كيف يتسع عقل الإنسان محيطاته, كيف يتسق مع كل ما هو ملموس وغير ملموس. إستيعاب الواقع المحيط, والبدء فى إستقراء مفردات المنظومة الخفية من خلال المعتقد الراسخ, الذى بطبيعة الحال مبنى على تفاعل الإنسان فى إطار واقعه المحيط, هي حلقة متكاملة.





رباعية

بقلم: همزة بسندي

وجود الأعداد يسبق وجود الأشكال الموصوفة بها، فتنوع الحس بالأشياء - بكل بساطة- يستدعي للروح فكرة الأعداد..

(أفلوطين)

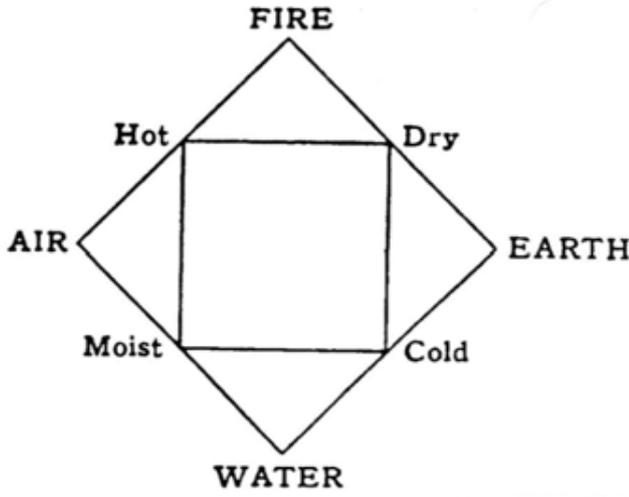
في القرن الثالث الهجري، ظهرت جماعة من البشر آمنوا بأهمية العلوم كأساس للمعرفة، و رأوا أن الإنسان إنما هو حبيس هذا الكون و أن المعرفة هي سبيله للتحرر منه. فقاموا بوضع ما وصلوا إليه من علوم في رسائل أطلق عليها " رسائل اخوان الصفا و خان الوفا " ، افرد إخوان الصفا في تلك الرسائل أهمية كبيرة للأعداد و تعاملوا معها على أنها المفتاح لفهم الطبيعة و ادراك الوحدة.

وليس بغريب ما أعطاه اخوان الصفا للأعداد من قيمة أو ما مارسوه من استقراء لما يمكن تسميته بالأسرار الكامنة خلف الأعداد ، فلقد احتاج البشر منذ فجر التاريخ إلى الأعداد ، احتاجوها لتقنين احتياجاتهم اليومية ولفهم الظواهر الكونية، ومع تطور حاجاتهم الانسانية تطور استخدامهم للأعداد و تطورت كذلك رؤيتهم لها و تبع ذلك الحاجة إلى علوم تختص بدراستها و فهمها بل و تفسير لرمزية تواجدها في الكون ، و عن هذا التطور في الفكر كتب اخوان الصفا :

" و ذلك أن هؤلاء الحكماء،
لما نظروا في طبيعة العدد ووجدوا أن لكل عدد خاصية ليست لغيره،
ثم تأملوا أحوال الموجودات ،
فوجدوا لك نوع منها قد اقتصر على عدد مخصوص لا أقل و لا أكثر،
ثم بحثوا عن طبيعة ذلك الموجود و خاصية ذلك العدد،
فكانا متطابقين،
واستبان لهم اتقان الحكمة الإلهية."

وما وصفه اخوان الصفا بالنظر في طبيعة العدد وخصائصه لم يكن أمرا قاصرا على حضارة دون غيرها بل على العكس تماما ، فالم تأمل في تاريخ و علوم الحضارات السالفة يجد فيما بينها تشابها كثيرا وإن لم يكن تطابقا في كثير من الأحيان في رؤيتهم العلمية و الفلسفية للأعداد ، بل وحتى في طرق تعبيرهم عنها .. من النقش على عظام الحيوانات الى استخدام الديدان أو الحصى و العصي و حتى الكتابة. وما نجده في حضارة عيلام قديما في بلاد فارس من استخدام للطيني في تطوير أشكال ترمز إلى الأعداد (الواحد كان له شكل العصا و العشرة شكل الحصى أما المئة فأتخذت شكل الكرة) نجد ما يتشابه معه إلى حد كبير في الحضارة السومارية حيث استخدموا أيضا أشكال من الطمي لترمز إلى الأعداد. وغيرها من الحضارات الانسانية عبر العصور ..

لقد نبعت حاجة الانسان إلى فهم نمطية تواجد الأعداد و الموجودات في الكون من حوله من حاجته الدائمة للتواءم مع هذا الكون ، كان لزاما عليه أن يفهم ما حوله لتصبح منتجاته شخصيا اشبه بمحاكاة لما حوله من الموجودات الطبيعية ، وهو ما تؤكد الحضارات الانسانية الاولى التي ابدعها الانسان قبل أن يبدأ مسيرته المعاصرة في تحدي البيئة الطبيعية و التمرد على قوانينها .. لقد بدأ الانسان بفهم القوانين التي أوجدها الخالق و صاغ من خلالها ذلك الخلق الموزون ، فهم يساعده على الاضافة إلى ذلك الخلق و الانسجام مع تلك المخلوقات ، نحاول اليوم أن نتتبع على سبيل المثال لا الحصر واحدة من تلك القوانين الرمزية التي كان لها كبير الأثر في توجيه ابداعات الانسان و تشكيل حضارته في انسجام مع الطبيعة المحيطة به ، نتوقف اليوم عند احد الاعداد التي حاكت للانسان دروبا نحو المحاكاة البشرية لما ابدع الخالق جل و علا : العدد ٤



و ذلك أن الأمور الطبيعية أكثرها
 جعله الباري جل ثناءؤه مربعات مثل
 الطبائع الأربعة التي هي الحرارة و البرودة
 والرطوبة و اليبوسة ،
 و مثل الأركان الأربعة و التي هي النار و
 الهواء و الماء و الأرض...
 و مثل الأثمان الأربعة و مثل الجهات
 الأربعة و المكونات الأربعة التي هي العادن
 و النبات و الحيوان و الأئسن،
 و على هذا السلك وجد أكثر الأمور الطبيعية مربعات ... ”

رسائل اخوان الصفا، رساله رقم واحد في العدد.

فقد صاحب العدد ٤ محاولات الإنسان المختلفة لإدراك الكون و الكائنات من حوله ، فعندما اراد الإنسان أن يعي كيف نشأ هذا العالم المادي نم حولنا وجد في عناصر الكون الأربعة ما يفسر له ذلك. فقد وجد الإنسان في كل ما حوله من موجودات ، فعندما احتاج الإنسان لأن يدرك ذاته : كيف خلق و مما نشأ وجد أن أصل خلق كل الكائنات هي العناصر الأربعة ؛ وبحسب الميثولوجيا المصرية خلط الإله الطين الأسود و الأحمر و الأصفر و الأبيض بمياه الكون الأربعة فحوله إلى صلصال شكل منه صور الناس. و قديما، اسس زرادشت مذهبه الديني و الذي اشار فيه للعناصر الأربعة بإنها عناصر "مقدسة". فالإنسان و الحيوانات تحتاج الى الهواء لكي تنفس، الماء لكي تشرب ، النار لتسخين الطعام و الأرض لزراعة النباتات للبقاء على قيد الحياة. كان يُنظر الى عنصر الماء و الهواء و التربة على انهما عناصر لا يمكن المساس بها أو تلويتها. اما النار فكان لها قدسية خاصة فهي ترمز الى الأبدية (كان الزرادشتيون يعتقدون في اله واحد اسمه اهورامزدا و لم يكن يعبدوا النار كما يعتقد). و قد تأثر "البيت الباميري" بمفهوم العناصر الأربعة في تصميمه. و "باميري" هي منطقة مرتفعة تقع شرق طاجيكستان و هي تعتبر من أقدم معاقل الديانة الزرادشتية. و كانت الفكرة الرئيسية في المسكن هو تحقيق الإكتفاء الذاتي في كل شيء، كذلك عكس المسكن عادات و تقاليد السكان المتأثرة بالأرية و الزرادشتية، فوجد فتحة السقف في الغرفة الرئيسية تتكون من أربع مربعات مركزية مركبة فوق بعضها، و هي ترمز الى عناصر الكون الأربعة: الأرض و الماء و الهواء و النار (فالنار هي المربع الأعلى لأنه اقربهم الى أشعة الشمس).

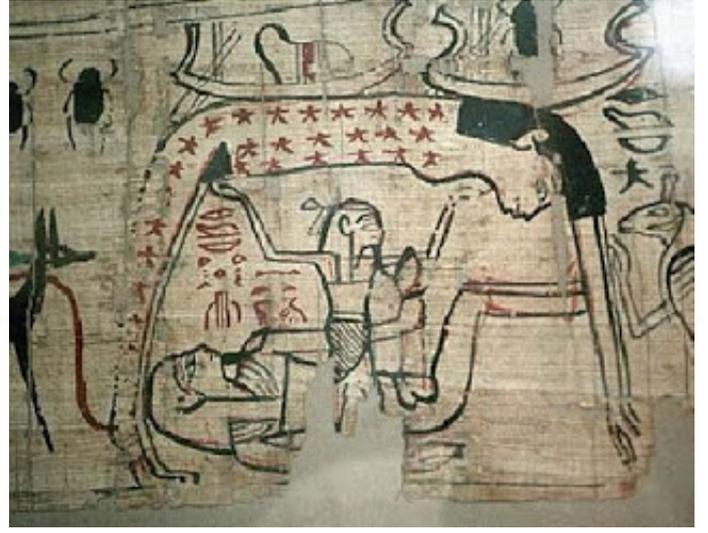


قرية كاراركول، باميري Karakul Village

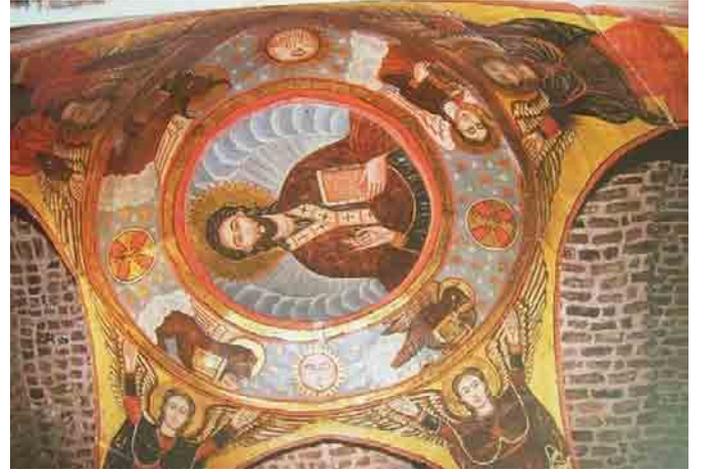


فتحة السقف في البيت الباميري

وعندما حاول الانسان أن يفهم العالم الذي يعيش فيه رأى أركان المعمورة الأربعة ، و تروي نظرية هليوبوليس للخلق أن الأرض جب والسماء نوت كانتا رتقا واحدا ثم فصل بينهما المعبود شو، حيث رفع المعبودة نوت لتكون السماء و ترك المعبود جب ليكون الأرض منبسطة اسفلها . ونظرا لإرتفاع السماء الشاهق لم يستطع المصري القديم أن يتخيلها بدون دعائم تسندها و تحافظ على ارتفاعها، فصور الأرض كمساحة مربعة و مسطحة تواجه اضلاعها الجهات الأربعة الأصلية و عند اركانها الأربعة توجد الأعمدة التي ترفع السماء. هذا و تتشارك معظم الاتجاهات الدينية والمذاهب عبر تاريخ الانسانية في نظرية رفع السماء بأعمدة أربعة ، فنجدها حاضرة في الديانة المسيحية - و إن اختلفت في تفاصيلها ولكنها تتشابه في عمومها- مصورة على سقف مذب كنيسة مارمينا (بقم الخليج - القاهرة) ، وفيها السيد المسيح ضابط الكل و حوله الأربع كائنات غير المتجسدة و الشمس والقمر، و يحمل القبة - و التي ترمز الى السماء - اربع ملائكة. و الجميل في هذه الرسومات هو هذا التوافق الوظيفي مع التوافق الرمزي، فالحنايا الركنية وظيفتها نقل الحمل من القبة الى الاعمدة.



اسطورة الخلق عند المصريين القدماء



سقف المنبج - كنيسة مارمينا - القاهرة

ويستمر العدد اربعة في مصاحبة الانسان رحلته لاستكشاف نفسه والكون من حوله و يتأمل الإنسان في الكون و يتتبع حركة الشمس و دورانها : فيحدد الإتجاهات الأربعة و يبدأ من خلالها ادراك الكون من حوله وموقعه في هذا الكون . فالمصري القديم ارتبط بالأربع الإتجاهات ارتباطا قويا حتى

لتشعر انها ليست جزء من الترتيب الالهي للكون فحسب بل صارت جزءا من الإنسان نفسه، فهي وسيلته لإدراك هذا الفضاء اللانهائي. ويصل هذا التوجيه الى قمته في بناء الاهرامات بقاعدتها المربعة والتي تتوجه توجها غاية في الصراحة والدقة لتواجه الجهات الاصلية الاربعة ..

والزرادشتيون يتجهون صوب شعلة النار او الي مصدر للنور أثناء صلاتهم، فالنار بالنسبة لهم تمثل النور أي مصدر الحكمة وكانت النار تظل موقده في بيت النار. و "بيت النار" في الفارسية تعني "Chahar-Taki" و التي تعني الإتجاهات الأربعة، و ذلك لأن جدرانه و فتحاته كانت تتجه صوب الجهات الأربعة الأصلية. و كان المعبد يتكون من غرفة مربعة الشكل، تنتهي بقبة من أعلى محمولة على أربعة أعمدة.

و في حضارة المايا اعتقد سكانها ، بأن كل شئ مرتبط بالإتجاهات الأربعة، و لذلك فإنهم قاموا بتوجيه مستوطناتهم إلى الإتجاهات الأربعة الأصلية. ففي المنتصف تجد الشجرة المقدسة، يخرج منها اربع طرق في الأربع إتجاهات، و عند نهايتهم يوجد أربع بيوت لحراس الحدود بالقريبة.

ولقد عبر الإنسان القديم عن الإتجاهات الأربعة بخطين متقاطعين و متساويين كالصليب، و كان هذا الشكل هو ذاته الذي عبر به العدد ٤ عند البراهمة في الهند. بل إن المسيحية اتخذت من هذا الصليب رمزا لها في فجر المسيحية حيث كان يطلق عليه الصليب اليوناني و ظهر هذا واضحا في المسقط الأفقي للكنائس البيزنطية (فهو عبارة عن مربع يحتوي على الصليب، و تحمل الأربع اذرع قبو يؤدي الى القبة المركزية) و يرمز للصليب بالإتجاهات الأربعة للتبشير بالأنجيل الأربعة. و بالرغم من أن كلا التشكيلين (المربع و الصليب) يمكن تكوينهما من توصيل أربع نقاط ببعضها إلا أن كلاهما مختلف عن الآخر، و هو ما يتوافق مع التفسير الأقليمي لتوليد الأشكال من خلال الخطوط: ٤ كشكل ثابت تصبح مربع، و ٤ كشكل ديناميكي ممتد تصبح صليب، فالشكل ما هو إلا تلميح لفكرة الرقم.

الأرقام هي صورة الحكمة الالهية، الموجودة في الكون... والتي تستطيع الروح البشرية ادراكها.. القديس أوغسطينوس

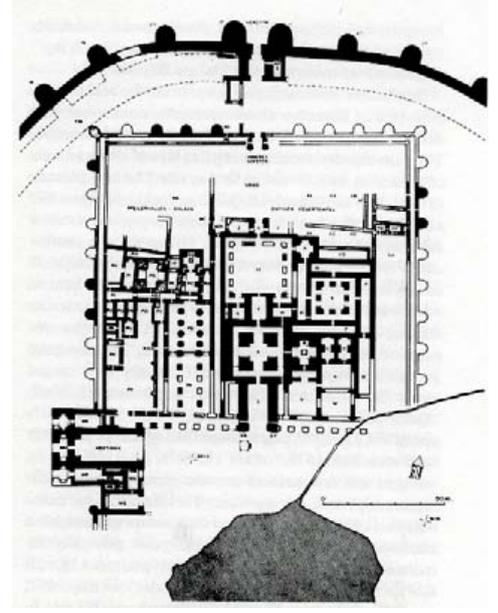
ولم يتوقف تأثر الانسان برمزية العدد اربعة عند حد ، فهو منذ القدم وحتى الآن يظل القانون الملهم للانسان أن يبدع ويبتكر المزيد ، ليلقي ذلك القانون بظلاله في كافة ابداعات الانسان .

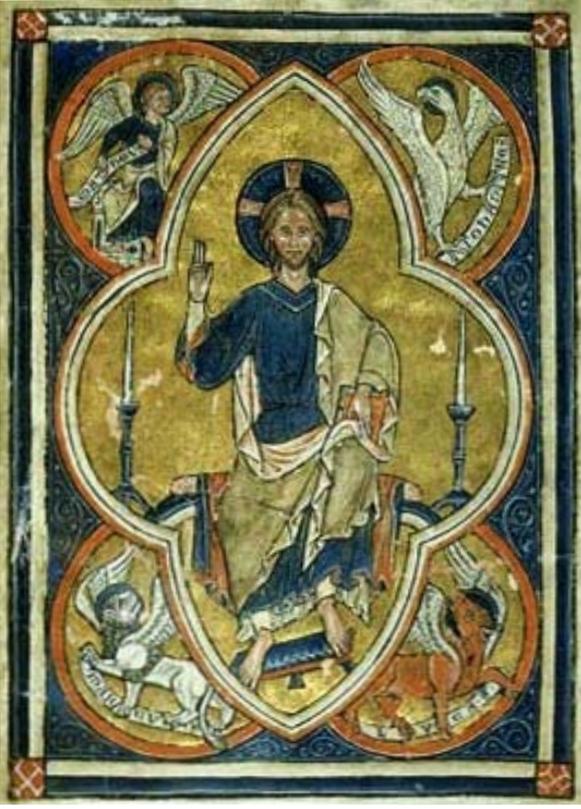
يلقيها على العمارة فنرى تأثر الأهرامات المصرية القديمة ، والعمران كمدينة روما التي اطلق عليها قديما روما المربعة نسبة الى تخطيطها المربع ، ومدينة جايبور بالهند في القرن السابع عشر والتي خططت كذلك على شكل مربع والعمارة الاسلامية بايونات مساجدها الاربعة غيرها الكثير مما يضيق المقام في عرضه ،

ويلقيها على الأدب فنجد في الشعر فن الرباعية و هو فن معروف منذ أواخر القرن الثالث الهجري: و الرباعية هي مقطوعة شعرية تتكون من أربع ابيات وتدور حول موضوع معين، و فيها اما أن تتفق قافية البيتين الأول و الثاني مع الرابع أو تتفق جميع الأبيات مع القافية.

وعلى الموسيقى فقد كان فيثاغورث يرى أن الإنسجام في الموسيقى يمكن التعبير عنه بمعادلات و نسب رياضية و ذلك بقياس النسب بين الأوتار و هذا الإستخدام الرمزي للأعداد في الموسيقى استعمل و بكثرة في القرن السابع عشر و أوائل القرن الثامن عشر، و لعل أكثر من ابدعوا في هذا هو "يوهان سباستيان باخ"، حتى أن اخر أعماله اطلقوا عليها "

Largely musical mathematic





ان تتبع ما اطلق عليه اخوان الصفا : خصائص الاعداد والموجودات يكشف عن مدى أهمية تلك الاعداد ومدى تأثير الحضارة الانسانية ككل بتلك الخصائص ، مما يثير الحيرة وي طرح الكثير من التساؤلات ، عما اذا كانت تلك الاعداد حقا ومنها العدد ٤ يحمل بذاته تلك الخصائص؟؟

وكيف انتقلت رمزية عدد مثل العدد ٤ بين القارات والأزمنة المختلفة بصورة كما لو كانت تنقل رسائل بين الحضارات الانسانية على الرغم من تباعد الزمان والمكان؟؟

وهل يشكل التكرار النمطي لعدد ما أو بعض الاعداد في حياتنا قانونا عدديا يفسر الكثير من الظواهر الحادثة حولنا تفسيراً علمياً او حتى فلسفياً؟؟

أم أن الانسان هو الذي يضيف على الاعداد تلك الخصائص من خلال رؤيته المنظومية لها ؟ ويضيف لها رمزية لحاجته لأن يدرك القانون الناظم لتلك الظواهر ؟

قد نختلف حول اجابة تلك التساؤلات ..

وأى من اجابتنا لن تكون أكيدة ..

ولكن الأكيد في هذا الامر أن الانسان لم يستطيع ان يثبت وجوده الذاتي كواحد من الموجودات في هذا الكون الا من خلال فهمه للكون واستكشافه للقوانين الطبيعية الحاكمة للمخلوقات ..

ولم ينجح في تحقيق حضارته الانسانية الا من خلال الانصياع لتلك القوانين والانسجام معها والعمل على الاندماج داخل المنظومه الاكبر للكون .

نظرت في المللوت كثير وانسغلت

وبلك كلمة (ليه) و(عسانيه) سألت

أسأك سؤاك الرد... يرجع سؤاك

وأخرج وعيرتي أشد مما دخلت

صالح جاهين

ترنيمه القانون

قراءة في كتاب نهج البقاء في عمارة الصحراء
ترانيم معمارية

” ليس المقصود ان يكون هذا كتاب في عمارة الصحراء بالملوك التقني للمصطلح ، ولكنه كلمات ورؤى نستشعر بها رومانسية الصحراء في ابداعات انسان الصحراء الذي رغب بفطرته أن يكون .. أن يبقى .

ابداعات هذا الانسان الذي حقق بإرادته هذه الكونية .. وهذا البقاء

انه كتاب في عمارة الصحراء ولكنه الى نهج البقاء

انه نهج البقاء في عمارة الصحراء

بحنا عن واقعية ..

وهروباً الى خيال

انه حوار بين القلب والوجدان ..

وبين العقل والضمير

فلنسمع ونبصر بقلوبنا

وعقولنا

وليشهد علينا وجداننا وضمائرنا ”

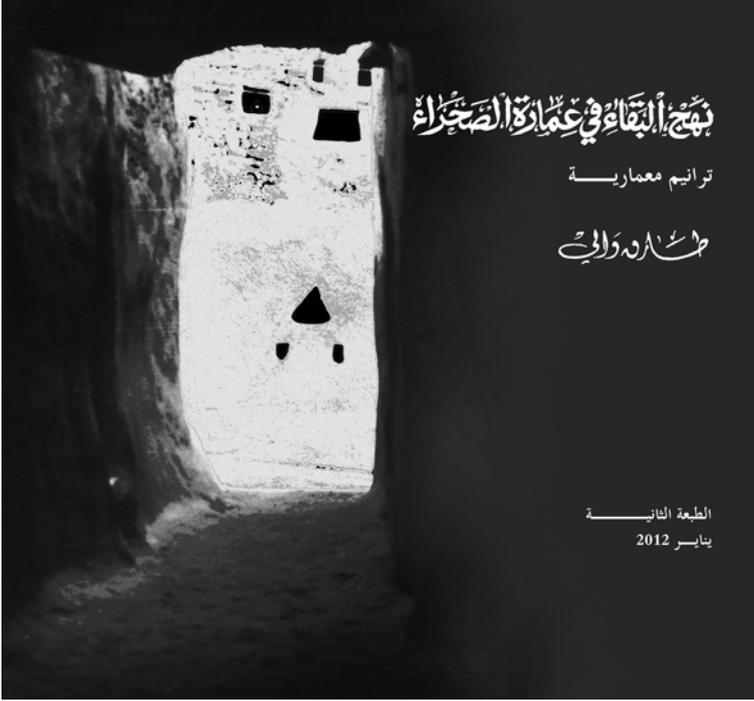


الكتاب : نهج البقاء في عمارة الصحراء

الكاتب : طارق والي

الطبعة الاولى 1996

الطبعة الثانية 2102



بتلك الكلمات يستهل الكاتب صفحات ” نهج البقاء في عمارة الصحراء ” حيث يصفه بأنه اقرب ما يكون الى انصات الى تلك المعزوفات التي يلعبها الانسان على اوتار الطبيعة ، انصات يستشعر فيه تفردها و تشابها ، تجانسها وتناقضها ، عبقريتها وضآلتها ، ثوابتها ومتغيراتها .. انصات يتعدى مفردات تلك المعزوفات من انسان ومكان وزمان .. يتعداهم الى الحلم الذي ينسج من تلك المفردات نهجا الى البقاء .. ولكن اي بقاء يقصد؟؟ وهل هناك بقاء على تلك الارض التي تتسم و كل من فوق ثراها بالفناء؟؟

نعم هناك بقاء بعد الموت على هذه الارض .. بقاء لموروثات متراكمة حملها الانسان عن سلفه ليحملها الى خلفه ، انها سلسلة متواصلة الى ما شاء الله ..

بقاء يحققه الانسان عندما يتعدى حلمه الحاجات

الفطرية الطبيعية ، يتعداها بإرادته الانسانية الى احتياجه الى الوجود والبقاء .. وكأنه في ذلك يلبي رغبته التي خلقها الله فيه في امتلاك القوى التي سخرها سبحانه له في هذا الكون ، وتطويع الظروف الخارجة عن محدودية الانسان الى احتياجاته الفردية والجمعية في عمارة الارض ومحورها الحماية من اجل البقاء ..

وحتى الوجود والبقاء تفرض على الانسان التحدي والانسجام ..

التحدي من اجل الوجود ..

والانسجام من اجل البقاء ..

اذا .. فالفناء المحتوم قد يكون مصير الانسان والمكان ، قد يكون نهاية المادة والمنتج ، ولكن الاكيد ان البقاء دائما للحلم الذي يعبر من زمان الى زمان ، وللفكر الذي يرسم لذلك الحلم نهجا يجعل منه واقعا ملموسا ..

ويستعرض الكاتب في تلك الصفحات لمحات عن انسان الصحراء وعمارته ، في محاولة للاستماع الى ذلك الحوار بين الانسان والصحراء والعمارة والزمان .. يتبادل فيه الاطراف دور المتحدث والمتحكم في من يبقى .. فتارة تلقي الصحراء كلمتها وتفرض وجودها وتحكم سيطرتها ، وتارة أخرى يضع الزمان بصمته ويكتب تاريخه الذي لا يستطيع مقاومته كائن كان ، ومرات أخرى ينجح الانسان بعمارته ان يطلق لحلمه العنان ويتحدى المكان والزمان ويحقق حلمه في البقاء ..

البقاء في العمارة والعمارة في البقاء

العمارة .. مسيرة تاريخ وتعبير حضارة ، قد تستمر مع الانسان ما استمرت العوارض الذاتية الطبيعية المحركة لها مع تتابع التاريخ واختلاف المجتمعات وتغير الحضارات .. قد تبقى بعد الانسان ما بقيت للانسان ارادة البقاء المشكلة لها رغم تنوع الابداعيات وثرء التشكيلات ، وقد تتجمد العمارة او تقف عند مرحلة تاريخية معينة لفقدانها العوارض الذاتية بتغير طبيعة المكان والزمان ، واختلاف سلوك الانسان وفهمه ووعيه ، بتنازله عن ارادته وهروبه من فطرته .. حتى يعود هذا الانسان فتعود معه وبه العمارة ..

وقد تموت وتندثر العمارة عند نقطة تحول تاريخي او حضاري معينة ، لغياب الانسان او لغياب قدراته على الابداع وفشله في تحمل المسؤولية التي حملها راضيا ..

وهكذا دائما العمارة هي ظل الانسان على الارض .. تحمل معها احلامه وتحقق احتياجاته .. ترتقي بريقه وتندثر باندثاره .. تكون احيانا هي الرؤيا وهي الحلم وتكون احيانا مجرد وسيلة او وعاء يحمل الرؤيا والحلم. وبقدر ما تصاحبه في حياته على تلك الارض ، تشاركه طموحاته وتعبير به ومعه من آفاق عالم الى عالم .. ومن رحاب مكان الى مكان .. بل وحتى تتلون كما لون بشرته عندما ينتقل من ظلال الوادي الى قلب الصحراء .. وتتغير كما يتغير تكوين جسده عندما يهاجر من بقعه الى اخرى الا انها غالبا ما تبقى بعد الانسان لتحكي قصته .. قصة وجوده او غيابه .. علمه او جهله ، عدله او ظلمه . انسجامه او نفوره ..

حقا ان العمارة تبقى دائما بعد رحيل الانسان لتكون شاهدا على رحلته وممثلا لحضارته .. ناقلا لرسالته عبر الاجيال .. بنفس الصورة التي شكلت فيها في حياته وجدانه ورسمت ملامح علاقته بمن حوله ،، وكانت فيها الناظم والمنظم لعلاقاته بما ومن حوله .. هي الحلقة التي تربط الانسان الفرد بجماعة البشر التي ينتمي اليهم وبالبيئة الطبيعية التي يحيا في ربوعها .. وتجعل منهما جميعا نسيجا غير قابل للحل .. والواقع ان الانسان الفرد غير موجود .. وعمارة الانسان هي نتاج اجتماعي يقوم بالتعاون والتفاهم بين افراد الجماعة ، وتتجسد فيها روح المجموع بالرغم من انها تبدو تعبيراً فردياً .. فالعمارة تحمل نفس الجدل الديالكتيكي الذي يعيشه الانسان بين نزعاته الفردية الذاتية واحتياجاته الجمعية.. وترنم الانسان والمجتمع والبيئة والمكان .. وتبقى لكل هؤلاء عمارتهم .. فتبقى للصحراء عمارتها ، ويبقى لانسان الصحراء عمارته تعبيراً عن ارادته في البقاء ، وتجسيدا لقدرته التي فطره الله بها في تسخير الطبيعة وتطويعها .. تعبيراً عن ذاتيته ومجتمعه وزمانه.. تعبيراً عن انسجامه وتناغمه مع بيئته وتطلعاته ..

وذلك التشابك في العلاقات بين الانسان وبيئته وزمانه وعمارته يجعل من المستحيل حقا فهم اي منهما بمعزل عن الآخر ، كما يستحيل على الاذن الاستمتاع بنغمة منفردة بصورة تنفصل فيها عن السيمفونية التي تحتويها ..



ولهذا للتعرف على تلك السيمفونية الانسانية لعمارة الصحراء يجب ان نتعرف على الصحراء نفسها .. حقيقتها وظروفها .. خصوصيتها وتميزها .. نكتشف تلك القوى الكامنة بها لنخرج بوعي الى فهم الاستيطان الانساني والمجتمعي لهذه الصحراء التي عزف بها وعليها الانسان ترانيمه المعمارية .. انشودة من الظل والنور .. من جدران واسقف .. من قباب وأقبية .. من خشب وطين ..

انشودة بين الزمان والمكان ، وبين الانسان ..

انشودة من فطرة وارادة على نهج البقاء .

والصحراء التي نتعرف عليها هنا ، هي تلك الممتدة في مصر غرب الوادي امتدادا للصحراء الافريقية يخترقها النيل ليكون الوادي وتتشكل عنده الحياة والحضارة وتكون مصر ..

والانسان هنا ، هو الانسان المصري العربي المستوطن لهذه الارض معمرا في واديه .. وواحاتها ومستقراتها الصحراوية حيث الحياة والموت متوازيان ..

والعمارة هنا هي تلك العمارة التي استمرت من خلالها المجتمعات تحديا للبقاء .. منتصرة للحياة .. مسخرة كل ما لديها وحولها بإرادتها وفطرتها ..

عزف هذا الانسان في كل عصر الحانه المعمارية على اوتار الطبيعة المحيطة به ، فانسجمت عمارته في الصحراء مع نفسها الى حد التكرار او التطابق على اختلاف الازمنة .. فالبيئة بظروفها الطبيعية ثابتة ، أو تكاد ..

نعم تغيرت المجتمعات ، وتداولت الحضارات .. واختلفت العمارة ..

وبقيت الصحراء وبقي الانسان وبقي النهج ..

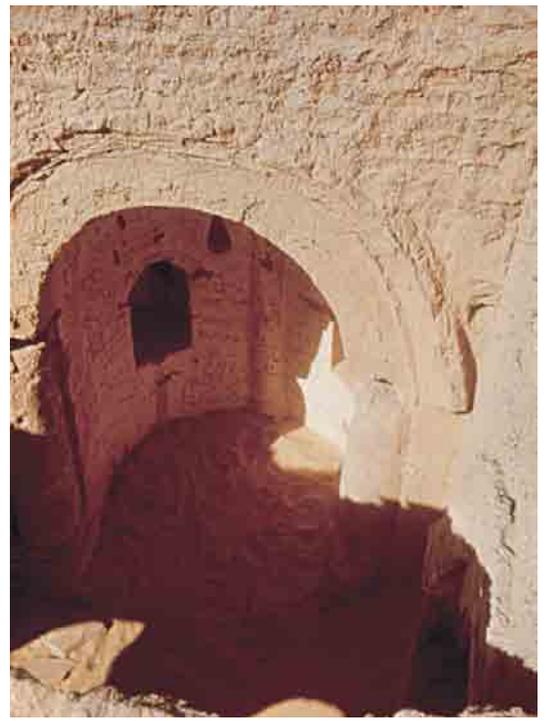
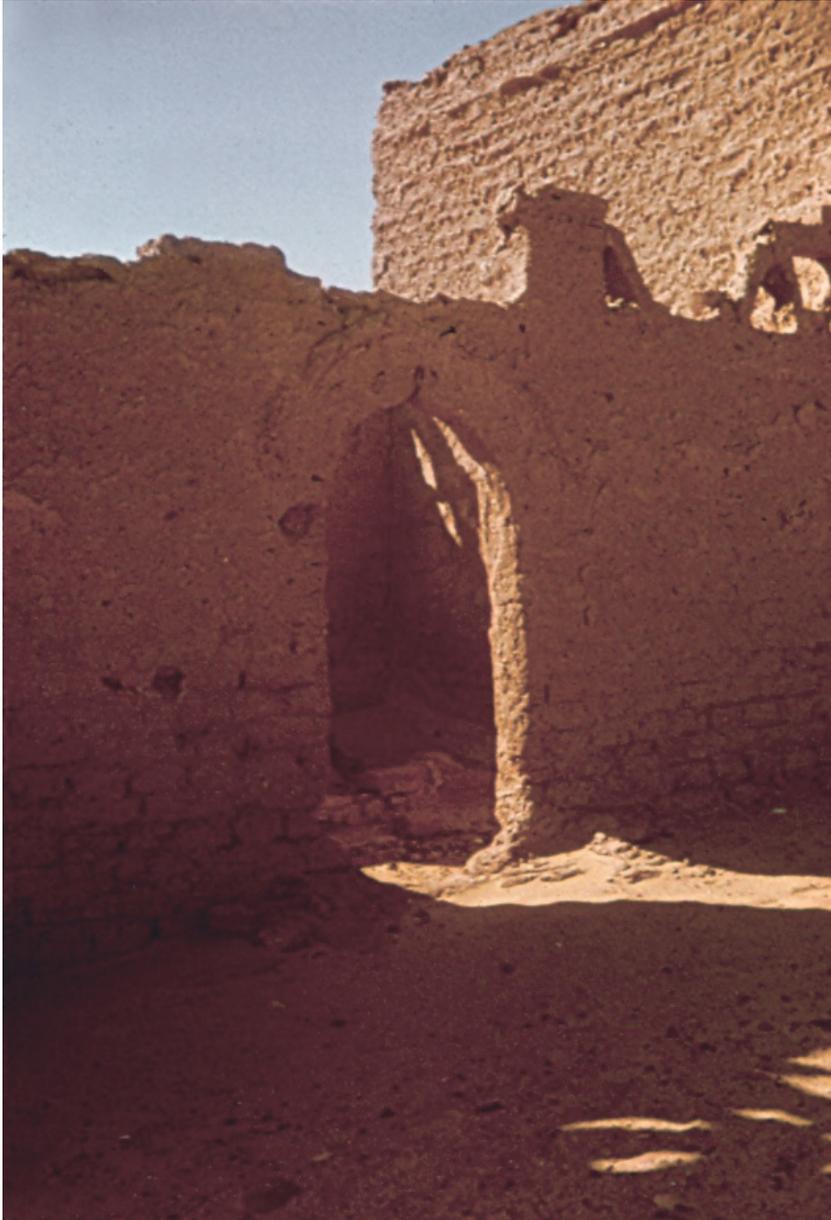
ونقف هنا عند نهج البقاء في عمارة الصحراء .. نقف في هذا الكتاب نسمع ونرى من تلك السيمفونية الخالدة ترانيم معمارية انسجمت مع بعضها البعض ، تباعدت واختلفت ظروفها الحضارية وتناغمت تردداتها وتشكيلاتها وتكويناتها .

اختلفت ثقافات وحضارات الانسان المبدع لها ..



نسمع ونرى ..
ترنيمة تأتي من عبق
التاريخ ، من القرن
الرابع الميلادي لقرية
قبطية .. قرية عاشت في
تحدي للاضطهاد الروماني
الديني وتحدي للظروف
الطبيعية .. لتبقى أكثر
من الف وخمسمائة عام
، ويبقى معها الانسان
بإرادته ونزوعه نحو البقاء
حتى بعد الموت .. ترنيمة
الزمان:

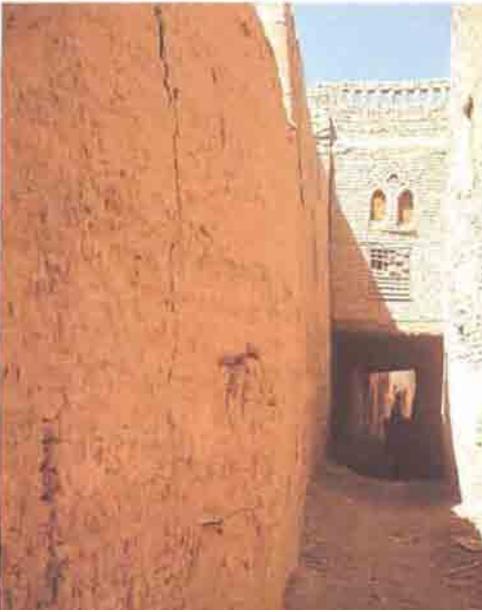
عمارة البجوات



نسمع ونرى ..

تربية تأتي من حياة المجتمع عاش
بها الانسان مرددا واستمر في حياته
متطورا ومطورا لعمارته .. عمارة
شعبية ابدعها المجتمع والانسان
بفطرتة مليا للمتغيرات .. متحديا
للفناء .. ليبقى مئات السنين مستمرا
في ابداعاته منذ العصور الاسلامية
الوسطى الى اليوم بإرادته ونزوعه
نحو البقاء حتى عصر اندثار الحضارات
وانقلاب المجتمعات .. تربية الظل
والنور:

عمارة الواحات ..

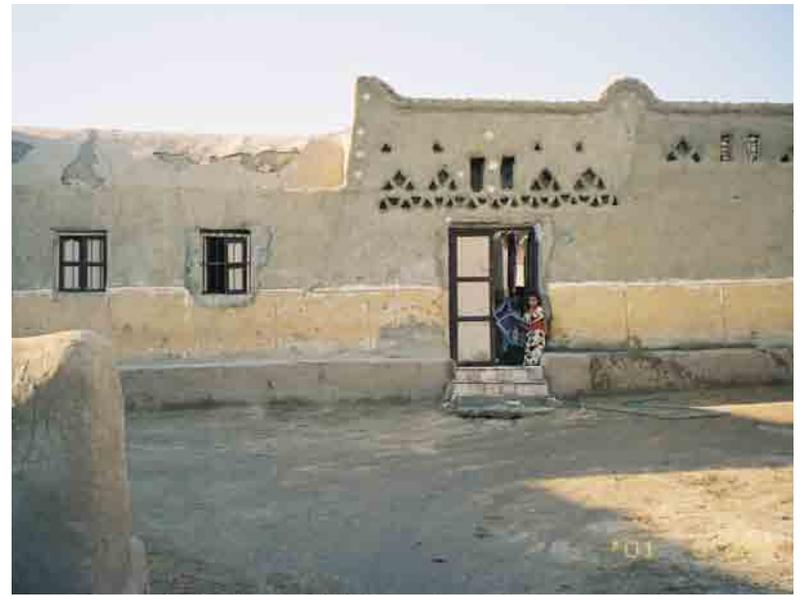


نسمع ونرى .. ترنيمة تأتي من عقل الانسان المبدع .. المعماري الحديث زمانيا والمعاصر ثقافيا وعضائيا ، الذي ادرك وفهم فأبدع وأحسن ... احترم عقله ومكانه فاكسب بارادته أصالته ومعاصرته .. ابدع عمارته منسجما مع ظروف بيئته واعيا للإمكاناتها ، مسخر اطاقاتها في ابداع عمارة معاصرة لم تفقد اصالتها .. عمارة ابدعها المعماري المصري حسن فتحي وابدع معه وبعده معماريون ، كان المعماري هنا مؤرخا ومنظرا لفلسفة ومبدعا لعمارة اراد بها ان يحقق للانسان رغبته لليوم وغدا في البقاء .. نهجا عاشه الاجداد ويتطلع اليه الاحفاد ترنيمة القانون :

عمارة المنظومات ..



واخيرا نسمع ونرى
 ترنيمه تأتي من خضوع الانسان المعاصر
 لرغبته في الاستمرار ابدًا جزء لا يتجزأ
 من الجموع الذي يحتويه سواء كان
 هذا الجموع أسرته او مجتمعه او بيئته
 الطبيعية .. في ترنيمه معمارية تتجانس
 العمارة مع الطبيعة دون ان تذوب فيها
 ويظل الفرد جزء من الجماعة دون ان
 يفقد تفرده .. كيف يرتبط الإبداع الفردي
 للعمراي ا بالإبداع المجتمعي وأهلهم
 سكان إحدى مجتمعات الجنوب هناك في
 أسوان على حافة الصحراء الشرقية في
 منطقة تسمى (منطقة الهداثة) فيما
 عرف سابقاً بمنطقة الناصرية، وهي
 المنطقة القادم منها السكان المستوطنين
 للمكان المهاجرين من بلاد النوبة ..
 مهاجرون ومستوطنون أرض جديدة ..
 حاملون موروثاتهم وثقافتهم القديمة
 إنما حلوا أو أستقروا .. نسمع ونرى
 حوار حول:



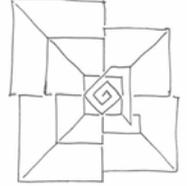
العمارات والمجتمع في منظومة البقاء



هي ترانيم معمارية اختلفت بها وحولها المجتمعات والظروف والحضارات .. تباينت وتناقضت عندها العصور والثقافات .. وبقي المكان .. الصحراء حقيقة ومعنى ثابتة وراسخة .. يفهمها من اراد البقاء بعمارته من الازل الى الابد .. موروث حضاري ومسيرة انسان بإرادته ونزوعه نحو البقاء نختار منها اليوم ترنيمه نعيش مع نغماتها لنستكشف ما ستحكيه لنا عن قصة عازفها ، انها ترنيمه القانون : عمارة المنظومات ..

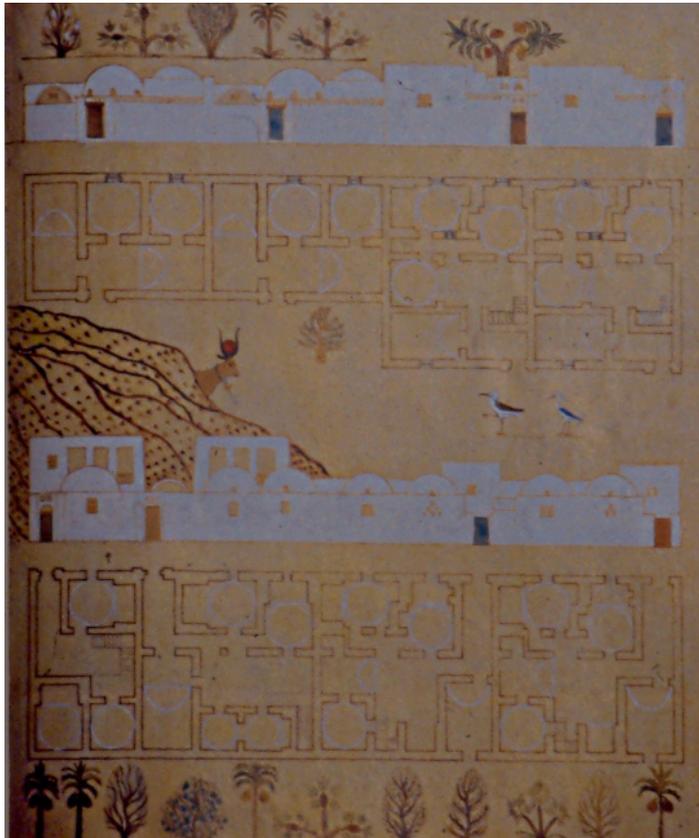
ترنيمه القانون : عمارة المنظومات

عمارة المنظومات ترانيم يعزفها المعماري على اوتار الزمان والمكان ، ارتبطت بمحدودية تلك الاوتار وامكاناتها وطاقتها .. وخرجت من قبل الزمان والمكان الى ما بعد الزمان والمكان .. من الازل الى الابد .. من المبتدى الى المنتهى .. باقية ما بقيت الحياة هذه الارض وما بقي الانسان خليفة معمرا ومبدعا في الزمان وعلى المكان .. باقية بقاء القانون ..



ان رواد العمارة المصرية المحدثين في هذا القرن قد اكتشفوا تلك الانساق الخالدة في وجدان المجتمع واكتسبوا من هذا الموروث الحضاري الطاقة والقوة الدافعة لهم نحو آفاق ابداعية يحترم فيها الانسان مكانه وزمانه من موقف عقلائي ، متوازن مع وجدانه .. فأبداع هؤلاء عمارتهم المعاصرة دون ان تفقد اصالتها .. ميزان محسوب كما وضعه سبحانه ..

معماريون ادركوا بعقلهم وحسهم هذا الميزان الرباني في عمارة الكون فأصبحوا معاصرين ثقافيا وحضاريا ، من هؤلاء رمسيس ويصا واصف ، وحسن فتحي وغيرهم ، ابداع الجميع واجتهد كل وقدراته ومعياره الذاتي ، ولقد كان شيخ المعماريين حسن فتحي راندا لهذه الكوكبة بأبداعياته في عمارة الصحراء .. فجر هذه الحركة المعمارية الحديثة والمعاصرة وسار معه وبعده معماريون على النهج .. فهم البعض القانون .. وقلد البعض التشكيل .. من القانون خرج الاول بتشكيل متجدد لعمارة المنظومات .. ومن التشكيل سقط الآخر بتقليد متجمد لعمارة القباب والقبوات .. يجتهد الاول فيجدد ويقلد الثاني فيتجمد ..



ان عمارة المنظومات نوعا من التشكيل الشعري او البناء الموسيقي تعتمد اساسا على التزاوج بين الفن والخيال من جهة ، بين العلم والعقل من جهة اخرى .. انها مزاجية بين النقيضين ..

مزاجية بين سكون الكتلة وديناميكية الفراغات .. بين المفردات والتركيبيات ..

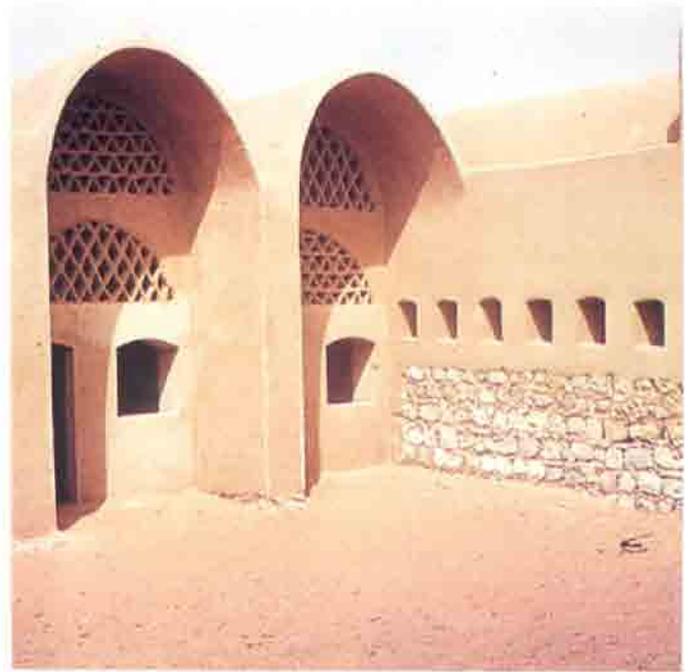
والعملية الابداعية بطبيعتها تهدف الى حل تلك المعادلة الصعبة لتناغم النقاظ ، فهي ميلاد فراغ او مجموعة من فراغات محدودة ومحددة من الفراغ اللانهائي .. الكوني ، هي عملية ميلاد غير محسوم أو نهائي ، فهذا الفصل المادي لا يعني الميلاد النهائي للفراغ والتشكيل الكامل للكتلة ، ولكنها بداية الميلاد المستمر مع حركة الزمان .. هنا يتوالد الحوار المضطرب بين هذا وذاك ، لكل وجوده الذاتي ولكنهما يلتقيان

وبهذه المعرفة تصبح عمارة المنظومات قصيدة من الشعر بقوافي وبحور ، يمكن ان تكون لها موازين شعرية ، يمكن

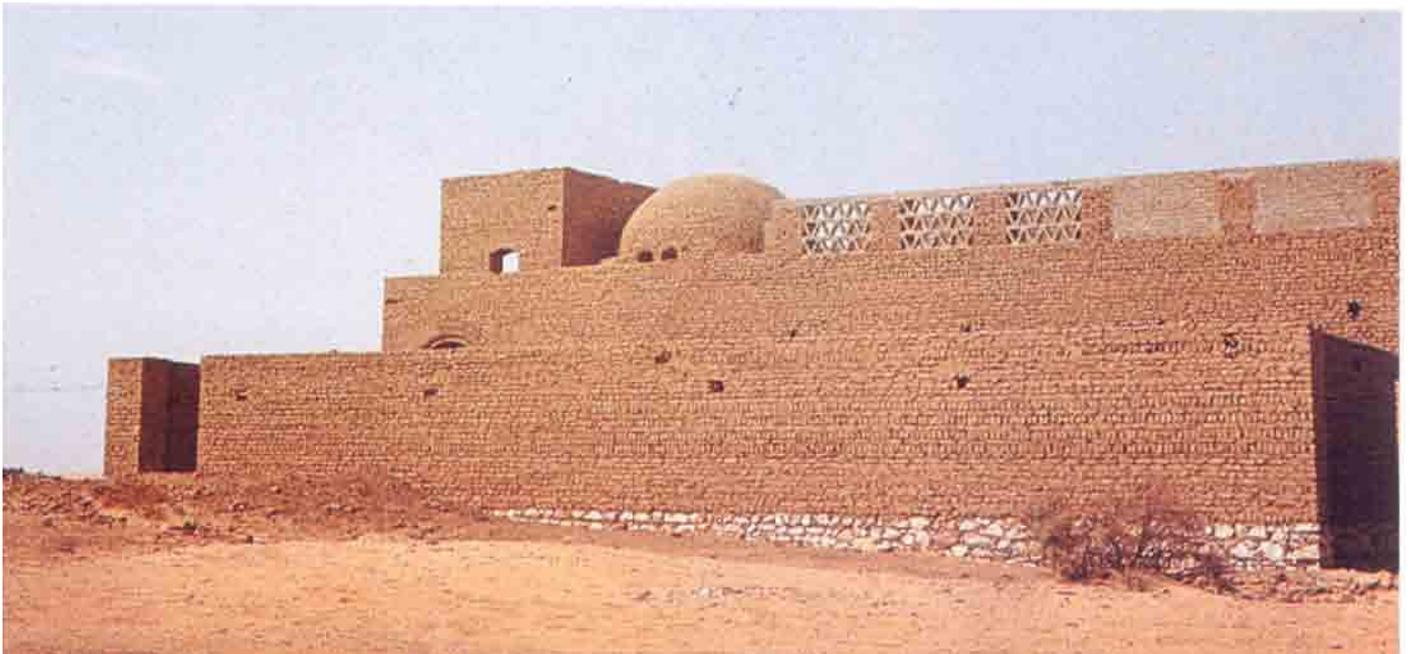
ان تكون لها موازين شعرية ضابطة ومنظمة ، بل هي سيمفونية لحركة الظل والنور .. لحوار الكتلة والخواء ، لصرامة الخط ونعومة المنحنى ، للمرئي واللامرئي ..

كل هذا وصل بعمارة المنظومات لتكون حوارا صوفيا بين الظاهر والباطن تجربة ذاتية عاشت الظاهر وتجاوزته الى الباطن .. الحقيقة .. اخذت من المنهج المعرفي العقلاني مسارا الى الاقصى لتعرج عنده الى آفاق المطلق .. القانون .. الميزان الذي وضعه المبدع الأول والآخر

والعمارة وفقا لهذه التجربة متعددة الدلالة ، وليس لها معنى مسبق او قوالب جامدة .. ترتبط بالمكان والمجتمع والبيئة ، تأخذ من الموروثات الحضارية وتتطور فيها وعنها .. لا تسقط الموروث ولا تتجمد في القوالب .. فالظاهر يخضع للباطن ، والمرئي يستمد وجوده ودلالته من اللامرئي فالاولوية للداخل .. للمنظومة المطلقة التي تشكل الخارج في حدود رؤية واحتياج .. وليس العكس .. وتلك هي المفارقة الابداعية الحضارية : العمارة عندها تكون ابداعا متجددا ، ترتبط بالجذور الحضارية ولا تكون سلسلة من القوالب والانماط .. تكون قضية مؤثرة في حياة الانسان وحضارة المجتمع ، ولا تكون خطابا غوغائيا ساذجا ينتهي دوره قبل ان يبدأ .

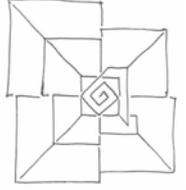


جدد حسن فتحى بقدراته الإبداعية في عمارة باريس بالواحاحات الداخلة ثورة الطوب وعمارتهما .. فكأنها عودة الروح .. كما أرادها الإنسان بشورته المعمارية الأولى .. ترانيم ايقاعاتها من روح المجتمع وثقافته وتراثه ..



الحلم والرؤية :

والحلم المعماري عند الانسان قد يرتبط بانتفاع أو احتياج مادي أو سيكولوجي .. وترجمة المعماري المبدع هذا الحلم او هذه الاحلام الى واقع مبنى او عمارة باقية ، تنطلق اساسا من البيئة المكانية والمحدودية الزمانية ليكون للعمارة وجودها ويكتب لها البقاء . وهنا تكمن الاشكالية عند المبدع في فهم الحلم وتأويل الرؤيه وصياغة كل هذا في لحنا معماريا معاصرا ومتناغما مع ذاته وحضارة المجتمع الذي ينتمي اليه ..



بمعنى يبدأ دور المعماري المبدع مع حلم الانسان والمجتمع لتشكيل عمارة بجوهرها واصداؤها .. بظواهرها وباطنها .. من خلال موازين منظمة للبناء الشعري للعمارة .. او من خلال مذاهب موسيقية وضوابط ايقاعية لألحان تلك العمارة .. او من خلال قوانين منظمة لعمارة المنظومات ..

وهنا في هذا المجال نعرض لتمثيل الفكرة والنظرية لا للحصر او التمايز مشروعا من اعمال المؤلف المعمارية – انطلق من المخزون الموروث لعمارة الصحراء في محاولة للتجديد ، بعيدا عن التقليد .. خروج الى ابداع عمارة على نهج البقاء دون السقوط في المحاكاة أو الجمود .. ” مشروع منتج سراي السياحي ” على سفح الصحراء الشرقية على شاطئ البحر الاحمر في منطقة الغردقة التي حباها الله سبحانه بمميزات طبيعية ومناخية تجمع بين رومانسية الصحراء وعذوبة السواحل ..

المكان : نهاية الصحراء أو بداياتها عند ساحل البحر ..

الزمان : نهاية القرن العشرين او بداية القرن القادم ..

الانسان : المصري بكل ما يحمله من ثقافة وموروث حضاري وتطلعات أنية ونظرة مستقبلية .

وهكذا كان الحلم وكانت الرؤية على مستويين ، الأول المستوى الجمعي لكل أنغام وألحان متداخله ومتشابهة تفتح على الأفق اللامحدود حيث البحر والصحراء ، وتغلق على نفسها حيث الذات الداخلية الكامنة .. تتفتت وتتواتر في مجموعات تصاعدية من الداخل الى الأفق بل تشد هذا المجهول الغائب ليكون حاضرا في داخلها .. سواء في الماء بما يحمل من معاني وتعبير للبحر أو في تشكيل الكتل والمسطحات البنائية بما يرمز الى الصحراء .. أما المستوى التالي الذاتي الفردي حيث

يتجدد الحلم مع كل انسان يسكن

الى المكان فالإنسان متغير ..

والمكان ثابت .. وهنا كان الحلم

متغير وبالتالي كانت اشكالية

هذا الحلم .. وكانت الحتمية في

مرونة التشكيل وامكانية التعبير

في تراكيب الانغام المعمارية

ضمن المنظومة الاساسية او

القانون المنظم لهذا لتشكيل

والتركيب المعماري للفراغات

والاستعمالات والانتفاعات .

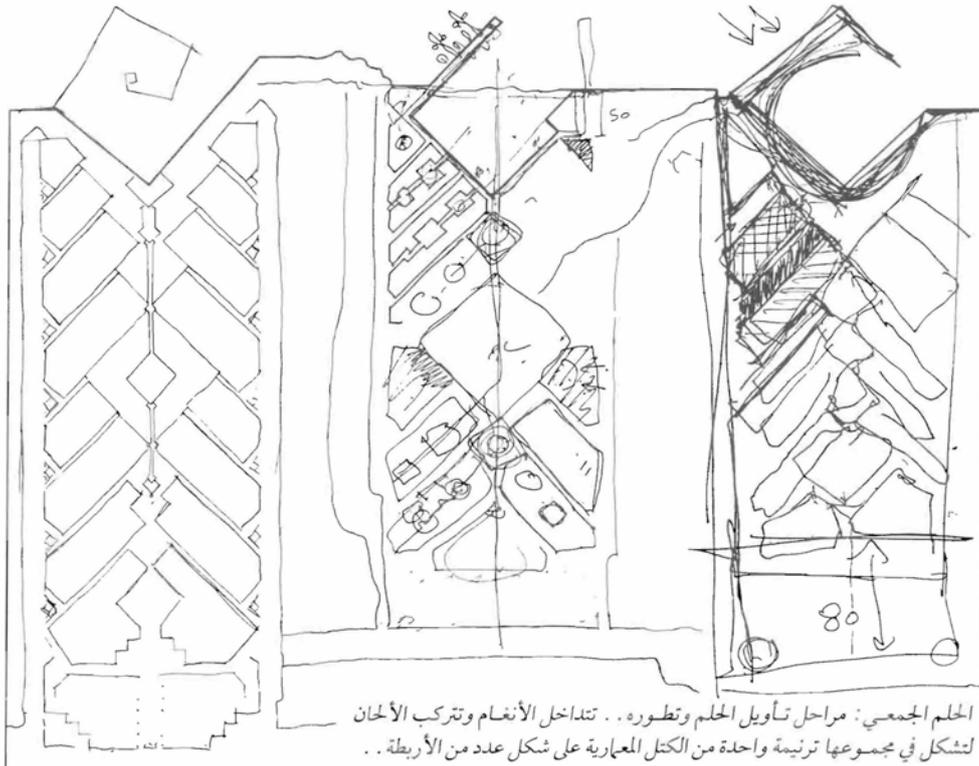
يتغير الجوهر من حيث التراكيب

ولا يتغير القانون ، كما يتغير

الهدف من حيث التراكيب

ولا يتغير الانتماء الى المكان

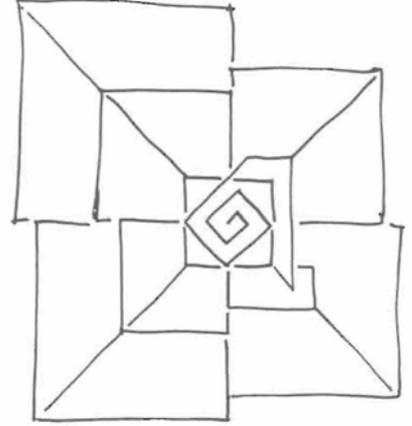
الزمان ..



الحلم الجمعي : مراحل تأويل الحلم وتطوره .. تتداخل الأنغام وترتكب الألحان لتشكيل في مجموعها ترنيمة واحدة من الكتل المعمارية على شكل عدد من الأربطة ..

القانون ..

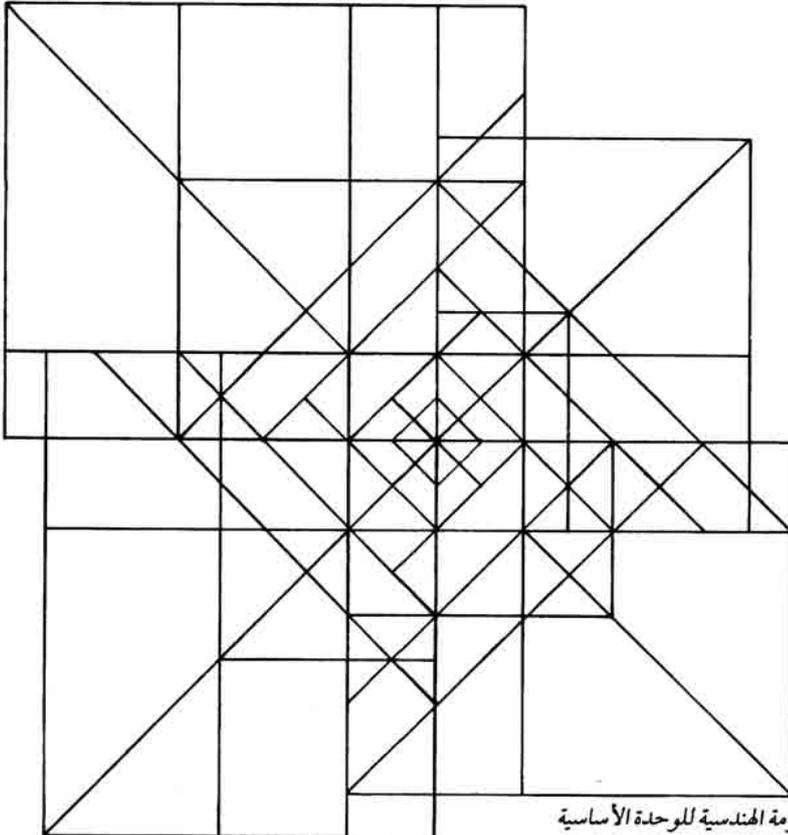
ان التشكيل في حد ذاته ليس غاية بقدر ما هو وسيلة للاحتواء الجوهر ، والمنظومة الهندسية هي القانون المنظم للعملية الابداعية ليحقق التشكيل غايته .. أو هو الوسيلة العقلانية لنقل الفكرة والخيال الى التصميم والواقع .. وفكرة المنظومة الهندسية في العمارة والتصميم ليست جديدة ولكنها واحدة من اهم الاساسيات والبادئ التي اقام عليها المبدع عمارة وفلسفته العمرانية .. فالمنظومة الهندسية هي الميزان النشود بين العقول والنقول



ومن هذا المنطلق فإن المنظومة الهندسية تبدأ من الحلم والرؤية وتنتهي الى التصميم .. الى المكان وما بعد المكان .. مع الزمان وما بعد الزمان ..

ان الميلاد الفراغي للعمارة يبدأ من نقطة أساسية تتوالد منها المنظومة الهندسية ، تتفجر منها طاقة تعطي للفراغ وجوده وحيويته ، وبأكتشاف هذه النقطة سواء كانت مادية ملموسة أو ميتافيزيقية محسوسة يمكن تركيب القانون المنظم او ما نسميه بالمنظومة الهندسية ..

وهنا تكون النقطة هي مركز النمو الفراغي ومنها او من خلالها تنمو التركيبات والتشكيلات أفقياً ورأسياً ..



المنظومة الهندسية للوحدة الأساسية

وفي مشروع منتج سراي السياحي كان للوحدة المنفردة قانونها ومنظوماتها الهندسية التي اعطت للتصميم مرونته وحركته المستمرة والمتغيرة ..

تتوالد كلها من النقطة المركزية تدور في حركة مستمرة مع ميلاد المربع الاساسي قلب الوحدة وجوهر الحلم ..

انه الميزان الذي يحكم حركة البناء الشعري والموسيقي للتصميم والعمارة ..

حركة تبدأ من المركز ولا تحدها سوى قدرة الانسان نفسه على الوعي واحتياجه للحدود ..

و القانون في الحقيقة محاكاة للقانون الكوني الاكبر .

فكل فرد منا هو جزء من كيان ومنظومة اكبر منه ، يؤثر فيه ويتأثر به ، يتلون كل منهما بلون صاحبه ، ويترتب بقاء وفناء اي منهما على الآخر ، وهذا القانون هو جوهر العلاقة بين الجزء والكل ..

قد يجعل من الاجزاء وحدات كل منها متفرد في حد ذاته وفي الوقت نفسه

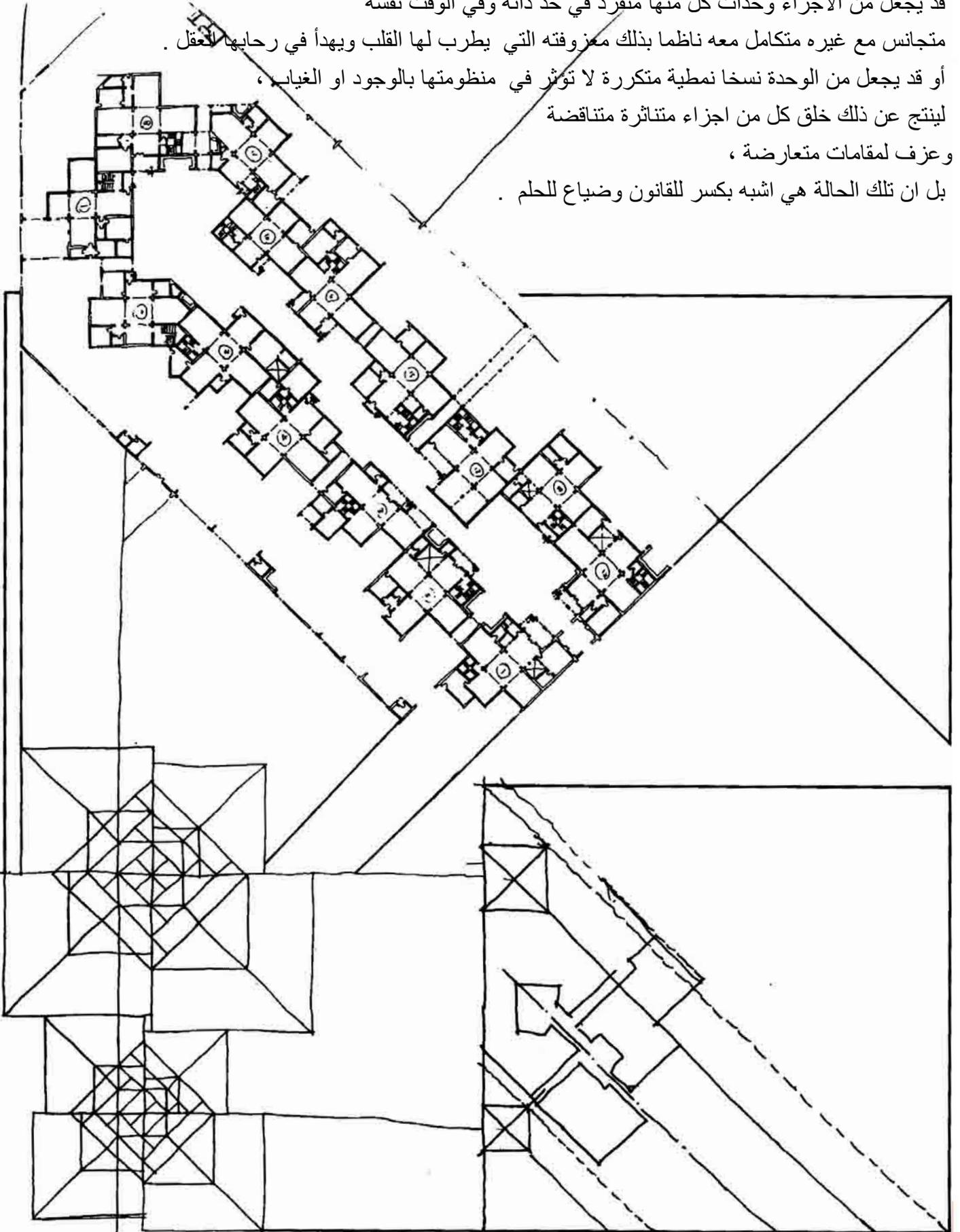
متجانس مع غيره متكامل معه ناظما بذلك معزوفته التي يطرب لها القلب ويهدأ في رحابها العقل .

أو قد يجعل من الوحدة نسخا نمطية متكررة لا تؤثر في منظومتها بالوجود او الغياب ،

لينتج عن ذلك خلق كل من اجزاء متناثرة متناقضة

وعزف لمقامات متعارضة ،

بل ان تلك الحالة هي اشبه بكسر للقانون وضياح للحلم .



التصميم والواقع

ان التصميم ليس عملية مبتورة عن ما سبقتها من خطوات على المسار الابداعي ، ولكنها هي ذروة الحركة الابداعية التي يعزفها او يترنم بها المعماري المبدع .. هي التي تخرج بالباطن الى الظاهر .. تشكل الصدف تعبيراً عن الجوهر .. هي في النهاية الواقع المادي الملموس الذي يدركه الجميع على اختلاف ثقافتهم ومستوياتهم ..

وهكذا ، تكون التصميمات الفراغية والتشكيلية نتيجة طبيعية وتلقائية لإخضاع الرؤية المرتبطة بالحلم الانساني للقانون أو المنظومة الهندسية المرتبطة بمكان محدد وزمان معين ..

ويكون بناء تلك التصميمات و الفراغات التشكيلية مرتبطا بثوابت حرفية وتقنيات متاحة ومواد متوفرة في حدود البيئة .. كما انه مرتبط بموروثات حضارية وثقافية للشكل والتكوين . مفردات معمارية يخاطب بها الانسان نفسه ومجتمعه وزمانه ..

وفي مشروع منتجع سراي السياحي يتشكل التصميم من مجموعات سكنية " اربطة " متتالية في صفين متوازيين بطول الموقع يتوسطها شريان أو وادي مفتوح يضم العناصر الترفيهية للمنتجع وتضم كل مجموعه " رباط " عددا من المساكن تتفاوت تراتيبها ومرونة الاحتياج والتطلعات وتبلغ متوسط الوحدات ما بين ٢١-٦١ وحدة اساسية بكل رباط تفتح على ساحة مركزية خاصة بسكن الرباط ، وهي الوسطية بين الوادي العام لكلل والفراغ الذاتي للمسكن المنفرد .. تتابع متناغم من الفراغات والتشكيلات المعمارية ، تتلائم و ذلك الموروث المعماري المخزون من عمارة الصحراء وتتناغم مع ترائيم تلك العمارة في اطار من التنظيم والتقنين ..



ان معايشة تجربة مشروع منتجع سراي السياحي واستقراء تلك الترنيمة " ترنيمة عمارة المنظومات " وغيرها من الترانيم التي انتظمت داخل صفحات هذا الكتاب انما هي دعوة ..
دعوة ليتخطى آفاق حلم كل منا سقف زمانه ومكانه...
ويتعدى ببصيرته مدى بصره ..
دعوة لقراءة ما بين السطور واستقراء ما وراء الكلمات ..
دعوة لاقتفاء اثر تلك الترانيم التي جانتنا عابرة ازمانا حاملة في طياتها احلاما تحققت وأخرى لا تزال ،
ورسائل خفية تناجي من يتأمل ظاهرها وينصت الى باطنها ،
لعله بذلك يخط كلماته الاولى في الرسالة التي سيجملها زمانه عنه يوما ما .
دعوة لان نستكشف تلك المنظومات التي تربط عوالمنا المختلفة ببعضها البعض ،
بل دعوة لייبحث كل منا عن المنظومة الاكبر التي تحتويه وتنتظره لان يقوم بدوره كوحدة مكونة لها
ولاستعادة الايمان بقدرة كل منا على تحويل مسار تلك المنظومة من الغياب الى الوجود ،
من الاتباع الى الابداع ،
من الحلم الى الواقع ،
ومن الفناء الى البقاء .. ■





” فالحارة لم تعد ذلك الشارع شديد الضيق، لكنها

اصبحت تحمل على جانبيها معاني الترابط

” الاجتماعي

بيت نمرة ٩

دينا علاء - نوران ياسر

يتبادر الى الذهن مدخل بيت بسيط، فى شارع مرصوف على جانبيه الاشجار، يداعب الهواء أوراقها، فتتراقص الظلال على رصيف المشاة، لتحمى السائحين المارة من حرارة الصيف، لنرى شمس الحضارات السماوية الثلاثة تشرق غير مبالية بهذه الظلال متجلية فى ارووع صورها؛ فى جرس الكنيسة و صوت الاذان، فى الحصن المبهر، فى الحجر المشيد به هذه الاماكن التى نعتبرها كعماريين غاية فى الابداع، نعم انه شارع مارجرس قلب القاهرة القديمة.

هذا الشارع الذى أجمعت أقدم الآثار المسيحية والإسلامية واليهودية. هكذا رأينا منذ عدة سنين فى اولى زيارتنا له، وكما يجرى العرف ان المناطق الاثرية او السياحية كريمة، فأينما يتواجد الأثر يزدهر المكان من حولة و يعود على الجميع بالخير .. أو هكذا كنا نظن.



يوليو ٢٠٢١

فى تمام الساعة العاشرة صباحا نخرج من محطة المترو (مارجرس) لتقع اعيننا على الكنيسة المعلقة و حصن بابليون فنقف لحظة للتقدير و الاستمتاع بجمال المنظر ثم نتجه يسارا الى جامع عمرو، فنسمع هذا الصوت ينادى "حاجة ساقعة water يا أنسة" فنلتفت للجانب اليسار من الشارع .. نعم نفس الشارع مارجرس، لتتجمد لحظة ادراك هذه المرة و انبهار للمرة الثانية ، لكن هذا الانبهار لم يمكن من جمال المنظر او هيئته .. كان من كم التعديت البنائية الموجودة فى الشارع، نجد حالات التعدي المخيفة بالمباني التى ترتفع وتحيط بالعمارة الأثرية فى هذه المنطقة و الواجهات الجديدة الملونة ، الخالية من اى ذوق فنى ، بل و بعضها يحمل تفاصيل فرعونية ! وطبعاً فى ظل حالة الفوضى والانفلات الأمنى التى تشهدها البلاد منذ انطلاق ثورة ٢٥ يناير وعدم تنفيذ قرارات الإزالة التى صدرت لتلك المباني التى شوهدت الطابع الأثرى للمكان، فى ظل عدم استقرار الأوضاع فى البلاد وإغفال المسؤولين عن هذا الخطر.



قد تظن ان هذه التجربة البشرية هى قمة التناقض التى يمكنك اختبارها ، فعلى ضفتى الشارع ارووع القيم الجمالية الاثرية يواجهها التعدى، لكن انتظر فلم تر شيئاً بعد و فهذه المباني مجرد مدخل لمنطقة " كوم غراب" انه العالم الاخر.. حيث تسقط جميع الاقنعة الاقتصادية و السياحية و تتجلى الاجتماعيات فى ابهى صورها.

تحتل هذه المنطقة مكانه كبيرة فى قلوبنا، و دائماً ما كنا نحاول تفسير ظاهرة ارتباط الانسان بفراغ ما و تعلقه به، فكيف للانسان ان يرتبط بفراغ لا يبادل الشعور، لكن وجدنا تفسيراً بسيطاً من خلال تجربتنا فى كوم غراب، لقد ارتبطنا بالمواقف بالاشخاص.

أخذنا نتجول فى المنطقة و شوارعها الضيقة ، فى أول رحلتنا وجدنا هذا الرجل بابتسامته العريضة " تحبوا اساعدكوا فى حاجة ؟" اجبناه باننا باحثين فى المنطقة ، نرصد و نسجل البيوت و نبحث تطوير المنطقة ، فاجاب " اهلا و سهلا ، انا عم سعد ، لو عايزين اى حاجة ، قولوا انتم تبع عم سعد الميكانيكى " ، تبادلنا الابتسامات و انصرفنا ، و كان اللافت للانتباه انه يعمل ميكانيكى و لا يمتلك ورشة ، فيفترش الارض امام عمارة تحت الانشاء بعدته .ودعنا عم سعد و استمرنا بالسير لندخل

شارع ضيق عليه لافتة "حارة بوابة الوداع" , لا تختلف الحارة عن غيرها الا ان اخرها سور المترو و سلم عبور المشاة الذى يمكن اعتباره نافذة العبور الى خدمات هذه المنطقة من اسواق و مدارس و مستشفيات , فجميعها تقع على الجانب الاخر من المترو .

كانت الشمس حارقة، تفادينا بالدخول الى هذه الحارة الضيقة. جلسنا على مصطبة مع "بائعة المناديل" امرأة عجوز، اعتقدت اننا صحفيات من الكاميرا و الاقلام و الاوراق, فأخذت تحكى لنا عن ايجار الغرفة التى تسكنها و عن غلاء الاسعار و صعوبة المعيشة دون دخل ثابت و ان المعاش لا يكفى الايجار و استرسلت فى الحديث و اننا نمثلك حلول لجميع هذه المشاكل، و كانت تقف هناك، تلك السيدة البشوشة و عيناها تلمعان بالرغبة فى الحديث، او تلمعان بسبب اخر لم استطع تفسيره وقتها. فانتهيت من الكلام مع بائعة المناديل



انطلقنا لنكمل مسيرة اليوم، و اذ بهذا الصوت الناعم ينادى " يا انسة , يا انسة " فالتفتنا اليها مبتسمات " ايوه " فسألت " انا فهمت انكوا بتساعدوا على ترميم البيوت و بتشوفوا مشاكل الناس " فأجبت " اه , احنا بنعمل كده " فاسرعت تقول " طب انا عندي مشكلة و عايزة حد يساعدنى فيها،بيتنا بيقع و الشقوق فيه كبيرة جدا، ممكن تيجوا معايا تشوفوا البيت ؟ " ذهبنا معها لنرى اين تسكن المنزل و الحقيقة لم نصدق ما رأينا، فعمود من عواميد الواجهة المطلة على الحارة انهار و اعاد السكان ترميمه، سألنا عن سبب الانهيار، بدأت سرد حكاية عجيبة :

" بعد الثورة بحوالى شهر فى حالة الانفلات الامنى , حصل عملية تنقيب عن الاثار غير شرعية فى المنطقة , وهبطت الحارة اللى احنا واقفين عليها ديه ٤ متر لتحت و كنت انا و ولادى نازلين من البيت و لقيت العمود ده بيميل على جنب و بيتكسرو وقع ... طبعا احنا و السكان عملنا عمود تانى بس كل حيطان البيت اتشروخت و الشروخ حضرتك ممكن تدخل ايديك فيها غير ان البلكونات كانت بتقع , فعملنا عواميد اسمنت نسندها و اسقف السقف مسنودة بجذوع خشب , ده انا حتى مش بخلى اولادى ينزلوا من السرير نط عشان ممكن البيت يقع , و مش هاقول لحضرتك كمان على المترو لما بيعدى بتحس كأنه زلزال "، فسألته : " طب ليه محدش اشتكى ؟ " فردت بخوف : " يا استاذة لو الحيطه ديه كانت موجوده كانت شهدت و الله اللى كان بيفتح بقه كان بيتضرب بالنار , ديه الحيطه كانت مخرمة من الرصاص " فقلنا لها : " ان شاء الله بيتك يكون من اول البيوت اللى تترمم، متقلقيش " تركناها و انصرفنا فى حالة من الاندهاش و الحزن !

فى اليوم التالى , بدأنا رحلتنا كالعاده من محطة المترو , فاستوقفنا هذا المحل الصغير الملىء بالتحف و الانتيكات الصغيرة , عم عادل صاحب هذا البازار كان فى غاية التقاؤل , فأخذ يقول : " حضرتك منطقتنا جميلة و الخدمات متوفرة , ينقضها فقط الاماكن المفتوحة و مراكز الشباب " خرجنا من هناك لنشترى مياه من سوپر ماركت على الشارع السياحى , فوجدنا محمد و علا , محمد فى الثالثة و العشرين من عمره , لا يجد عمل فى مجاله فيساعد علا فى السوبر ماركت سألنا علا " ايه مشاكل المنطقة ؟ " أجابت بسخرية " احنا معدناش مشاكل خالص "

و استمرت "كل شوية حد يبني عمارة ٢١ و ٣١ دور و ده بيأثر على اساسات العمارة طبعاً، و بيحصل هبوط حتى هتلاقى الرصيف الله قدام المحل مشقق!" و أخذت تحكى عن المشاكل الأمنية التي تسببها العزبة من مخدرات و سلاح فى يد الأطفال سألنها عن عملية تنقيب الاثار فى المنطقة، قالت " لأ ده محمد اللى يحكى "

محمد : "ام اسلام اصلها لقت اثار تحت بيتها و باعتها , فقررت تبدأ تنقيب عن الأثار و جابت شيخ و قالها ان فى اثار تحت , بس ملقوش حاجة فى الآخر "



تركنا محمد و علا، و أخذنا نجوب المنطقة نراقب البيوت و نرصدها، كان منها الجميل البسيط و منها مباني قديمة ذات نقوش غاية فى الروعة و تفاصيل معمارية دقيقة تعود الى قرون ماضية منها المهدم المهجور و منها الذى يسكنه الناس حتى الان، لكن معظمهم كانوا خطر على السكان لقدم المباني، و مررنا بجانب هذين الرجلين كان يقول احدهما للآخر: " أكيد هتلاقى عروسة فى الحارة يعنى"، و نظرا اليها و سأل احدهم : "Are You Christian?!!" " فردت مبتسمة: "لا"، فدعونا لشرب الشاي و تحدثنا معنا فعلمنا ان احدهم يعمل هنا

منذ زمن بعيد منجد دون ورشة عمل، و ان صاحبة العقار تريد طردهم منه لتهدمه و تبنى مكانه عمارة كبيرة، و جلسنا معهم نتحدث لفترة طويلة، ثم ذهبنا.

استكملنا مسيرتنا فى المنطقة، حتى رأيناها تعكس شعاع الشمس من بعيد، هذه الفاترينه الزجاجية. أثارت فضولنا لنرى ما خلفها، اقتربنا فأذا بها مجموعة من الكتب الجميلة المجلدة بنقوشة العربية المعاصرة و اقمشة الخيامية الشهيرة. دخلنا المحل لنجد ورشة مكتملة يعمل بها رجال فى مختلف المراحل العمرية كان عم احمد و عم عادل ابرزهم، و المبر ان سيف الصبى ذو العشر سنين كان يعمل معهم بحرفيه مبهرة، و اشار عم احمد انه فى الصيف يأتى اطفال المنطقة ليتعلمون



حرفة و يعملون معهم طوال الاجازة، و قال لنا: "مهم اوى ان الاولاد ديه تشتغل و تعرف معنى انها تقبض و تتعلم صنعة." و سألناهم عن الكتب المشابهة للتي يصنعونها المتواجدة بكثرة فى مكتبات الزمالك، فاكذ لنا انهم هم المصدر و ان الشركة لها منفذ بيع فى السوق الفسطاط بجانب جامع عمرو.

فى حارة بوابة الوداع وجدناه جالسا يدخن السجارة، كانت ورشة مثيرة للتساؤل و فريدة من نوعها، "ورشة نسيج و سرفلة سجاد". يمتهن هذا الرجل مهنة صناعة السجاد لمدة اربعون عام، و كان يعمل فى كلية

الفنون التطبيقية قسم النسيج، و يجب عمله جدا يجده مسليا، فسألنا: "انت شغال لوحداك هنا ولا معاك صنايعية"، أحاب ببرود: "يا أساتذة احنا شغلتنا صعبة و محتاجة تعليم كثير و مفيش حد من شباب اليومين دول بيحب يتعلم و عقبال ما اعلمه و يبدأ يعمل حاجة و يجيب فلوس اكون انا عملت كذا سجادة."

طول فترة مكوثنا فى ورشة السرفلة كانت نتابعنا من تحت الشجرة الصغيرة خارج الورشة ، لم استطع منع الابتسامة، فلا يمكن لاحد ان يرى طفلة بهذا الجمال و لا يبتسم لها ، و عندما حاولت ان اكلمها احمرت خجلا و ابتسمت، سألناها عن اسمها ، همست : "أسمى نعمة." حاولنا ان نتحدث معاها لكنها كانت محرجة لدرجة كبير و بالرغم من ذلك لم تتركنا و جابت معنا المنطقة، و فى اخر اليوم ودعنا و صنعنا لها هذا المركب الورقى البسيط فاخذته مبتسمة و شكرتنا. كانت الفرحة تملأ عيناها و هى تأخذة كأنها لعبة من ابهظ محال الالعاب و لم تتركنا الا عندما وعدناها بأننا سنبحث عنها فى اليوم التالى، فأشرت بيدها الى اليمين: "انا ساكنة هناك." تلك الحارة المظلمة.

حارة أحمد لاشين .. كانت وجهتنا فى اليوم التالى لنبحث عن صديقتنا الجميلة نعمة، اطفال تلعب الكرة و الضوضاء تعم المكان، سألنا أحدهم: "تعرف نعمة ساكنة فىن يا حبيبي." فسا رعوها جميعا فى الاجابة: " أيوة أيوة " و أخذوا يركضون داخل الحارة نحو هذا الفناء الصغير جميعهم يصرخون "نعمة، يا نعمة." خرجت اربع سيدات من النوافذ ليصرخوا: "مالك يا واد فيه ايه."

رد أحد الاطفال: "بيدوروا على نعمة" فسألنا السيدة : "انتوا مين." فأجبنا الاجابة المعتاد: "أحنا باحثين فى المنطقة و نرصد المشاكل.. و سألناها عن الخدمات و المدارس." فكانت الاجابه : أهلا بكم .. انا نجاة و ديه رشا و الاتنين اللى فالعمارة

اللى هناك دول نبيلة و تهانى" كان الحوار فى غاية المتعة فالاربع سيدات ضحكات و يتمتعن بحس فكاهى رائع، تحدثنا عن بعد السوق التجارى الخدمى و عدم توافر اماكن ترفيهيه للاطفال، مرورا بمشاكل المياه و الكهرباء.. و عندما سألناهم عن امكانية نقلهم للعيش فى مكان اخر ضحكنا و ردت تهانى:" اى حته المهم نكون مع بعض، بصوا يا انسانات مكتبنا على الدكة اللى تحت ديه العيال يلعبوا الصبح و احنا نعمله مكتب بالليل ابقوا تعالوا اشربوا معنا الشاي".

كان صباحا مشرق، و كانت تتعثر و هى تحمل هذه الاكياس من الخبز فلا ترى الطريق، و كلما سارت وقع منها على الارض، فعرضنا عليها المساعدة فشكرتنا و انطلقت .. لكن الخبز وقع منها للمرة الثانية، فاقتربنا منها: " خرينا نساعدك، اسمك ايه"، ردت: "انا شيماء وانتم؟! اجبناها و نحن نسير، قالت انها فى التاسعة من عمرها و انها تذهب الى المدرسة فى المجمع، سألنا عن المجمع فسألتنا بأستغراب: "هو انتم مش من المنطقة، المجمع اللى ناحية العزبة، بس هو بعيد شوية انا بروح بالمواصلات و بتبقى صعبة، نفسى فى باص مدرسة اروح بيه، انا وصلت البيت يلا سلام بقى".

و اخذت شيماء الخبز لتختفى وسط البيوت المتشابهه كما تختفى احلامها البسيطة.

تتلاصق المباني فلا تسمح لشعاع الشمس بالمرور ، هذا ما كان مرسوم فى خريطة المنطقة لكن الواقع مختلف، فكانت هناك حارة ضيقة تنتهى بشجرة عجوز مخوخة لا تطرح الاوراق محاطة من ثلاث اتجاهات بغرف صغيره منها المسقوف و منها الغير مسقوف (يمكن ان نسميها على استحياء عشش)، صدر هذا الصوت من يسارنا:"انفضلوا افطروا معنا". فابتسمنا:"بالهنا و الشفا، شكرا".

اوضحنا لعم احمد البنا المعماري عن هويتنا و من نكون و لماذا نتواجد فى هذه المنطقة، عم احمد كان من أحلى لقائتنا فكان اللقاء زاخر بالكلام فى جميع المجالات، فعم احمد على قدر كبير من الوعي و الثقافة فأخذت يتحدث عن الاحوال الاقتصادية و السياسية و يطرح حلول من وجهة نظره لمشاكل السكن و الكهرباء، فى وسط الحديث قال لنا: "شوفوا بيت ام سارة كمان". فتركت اصدقائى مع عم احمد لاذهب و ارصد حالة منزل ام سارة.



كان بيت ام سارة هو بيت نمرة ٩ المقابل لغرفة عم احمد، لم يختلف حال البيت كثيرا عن غيره من البيوت التى رصدناها؛ شروخ فى الوجهة، بياض متساقط، صعدت السلم الايل للسقوط، المظلم الا لبعض ضوء الشمس المتسرب من الشروخ، فتحت لى سيدة فى الاربعين من عمرها تقف بجانبها سيدة اخرى و فى الغرفة المقابلة جلست سارة، سارة ذات الوجه الملائكى المبتسم، سارة هى المحور الذى يدور حوله هذا البيت الصغير فهى تعانى من الاعاقة العقلية، فتتناوب الام و الجارة على رعايتها احدهما فى الصباح و الاخرى فى المساء و عندما سألت عن والد سارة قالوا انه "على باب الله" و انهم لا يملكون مصدر رزق ثابت، المثير للجدل انهم لم يطلبوا المال او اصلاح المنزل لكن بمنتهى البساطة و التواضع "أحنا نفسنا فى

مدرسة تقبل سارة بحالتها ديه. " .. نزلت درج المنزل و كل ما يشغل بالي " هل يمكن ان يوجد كل هذا الترابط في مجتمع صغير رغم جميع الصعاب التي يواجهوها؟! "

كان بيت نمرة ٩ هو اخر حالة نرصدها في المنطقة ! لتركنا في حيرة و تساؤلات لا تنتهي فتسقط هذه التساؤلات جميع التابوهات التي عرفنها منذ نعومة اظافرنا.....

فالحارة لم تعد ذلك الشارع شديد الضيق المبلط بالانترلوك او المرصوف، لكنها اصبحت تحمل على جانبيها معاني الترابط الاجتماعي، فيعرف من يسكن اولها آخر ساكن فيها، و يتشارك سكانها الاحزان و الافراح، فتشعر و انت تسير فيها بمزيج من الاحساسيس التي يصعب عليك تفسيرها لكن ابرزها الامان، هذه هي الحارة التي يتجنبها مخططوا اليوم لضيقها، مما يتعدى على حريات السكان بداخلها، او هكذ يظنون. و الفراغ الضيق، الذي يحمل بداخله احلام اسر فقيرة بالحصول على غرفة مسقوفة تحميهم من حرارة الصيف و برد الشتاء، هو تجسيد لقدرة الانسان على خلق و بناء مجتمعة و التكيف مع أصعب الظروف ليلبى اقل حاجاته الانسانية الاساسية متمثلة في الحصول على مأوى.

عندما تدخل الحارة قبل العيد فتري الفرحة، بدون وجود ناس بها فجميعهم نيام لكن الفرحة مجسدة في الاطفال التي صنعت من اكياس الشيبسي الزينة لتعلقها بين البلكونات فتعكس ضوء الشمس، هذا ما يستمر العلماء في مختلف المجالات في التعريف بالمرونة في الوصول الى الهدف.

الحلم و الامل و السعادة اثبتوا انهم أهم دوافع انسان للاستمرار في الحياة، فطالما تسائلنا؛ "كيف لهؤلاء الذين لا يملكون شئ ان يحتملوا الحياة ليوما آخر؟! "

كانت الاجابة بسيطة، هذه الجموع تتغذى على الامل، يعيشون ليحلموا بيوما افضل تتحقق فيه أحلامهم البسيطة، لا يكثرثون كثيرا بمشاكل اليوم، و لكن يصنعوا من خوفهم سلم ليصعدوا به الى المستقبل. كأنهم يعيدون تعريف النضال من وجهة نظرهم، هم لا يعرفون انهم يناضلون لكنهم في الواقع يثبتوه بالتجربة العملية .

فلا نستطيع سوى تقديرهم و مساعدتهم للحصول على الحق في الحياة الكريمة. ■



تأملات حول فلسفة الثورة

قراءة في : " كتاب فلسفة الثورة " و " مشروع الميثاق "

للزعيم الراحل الحاضر : جمال عبد الناصر

بقلم : شيماء شاهين



«إن الملوك الحقيقية لمساك أي شعب لا يمكن استيرادها من تجارب شعوب غيره ، ولا تملك أي حركة شعبية في تصديها لمسئولية العمل الاجتماعي أنت تستغنى عن التجربة. ولا بد للتجربة الوطنية الحقيقية ألا تفترض مقدماً خطأ جميع النظريات السابقة عليها ، أو تقطع برفض الملوك التي توصل إليها غيرها؛ فإن ذلك تعصب لا تقدر أن تتحمل تبعاته . خصوصاً وأن إرادة التغيير الاجتماعي في بداية ممارستها لمسئولياتها تجتاز فترة أشبه بالمرحلة الفكرية؛ تحتاج خلالها إلى كل زاد فكري، لكنها في حاجة إلى أن تهضم كل زاد تحصل عليه ، وأن تمرجه بالعصارات الناتجة من غلاياها الحية ومن تجربتها المعاصرة (1)»

استوقفتني كثيرا تلك الكلمات وأنا في بداية رحلة البحث عن إجابة للسؤال الأهم والذي صار محور حاضرننا :
كيف نحقق التغيير الذي نريد ؟؟

استوقفتني تلك الكلمات لأنها تفتح أمام عقلي الحائر أبواب تجارب كثيرة قد يكمن خلف أي منها مفتاح الإجابة على أسئلة مجتمعنا الباحث عن التغيير .. واستوقفتني لأنها لمست برفق ما نشعر به اليوم من ارتباك وحيرة وتردد ، ولأنها واجهتني بأن طريق التغيير لا بد وأن يبدأ من داخل أنفسنا .. لا بد لكل منا أن يبحث عن حلول مشكلاته في أعماق ذاته .. وأن يتزود مجتمعنا بقبس من تجارب الماضي وما أكثرها لعلها تنير له طريقاً إلى الغد الذي يسعى إليه ..

ولكن من أين نبدأ ؟؟

وبأي تجربة نستعين ؟؟

و أي فترة من تاريخ وطننا الحافل قد تستطيع أن تمد لنا يد العون في تلك الأيام العصيبة ؟؟

قد يرى الكثيرون من أبناء جيلي أننا في قلب تجربة فريدة من نوعها لم يسبق لوطننا أن عاصرها ، وأن السنوات الطوال التي قضتها مجتمعنا العربية مفعولا بها تحت ظل القهر والاستبداد والتي أدت في النهاية إلى اشتعال فتيل الثورة المكتومة في صدورنا لسنوات أطول مما استطعنا على الاحتمال ، هي كلها ظروف تفردت بها أمتنا وأجيالنا عما سبقها.. ولكن الحقيقة أن الظلم والاستبداد في كل زمان ومكان يهيج دائماً نفس الاساليب لتوطيد سلطانه في النفوس.. قد يتغير السجن ولكن ظلمة السجن لا تتغير .. وقد يتغير الزمان والمكان والأشخاص ، ولكن تبقى النتيجة الحتمية لتفاقم الظلم والاستبداد أيضاً لا تتغير .. الثورة

نعم الثورة هي النتيجة الحتمية للظلم والاستبداد ..

وهذا ما برهنت عليه انتفاضات المجتمعات العربية في ٢٠١١ والتي اتخذت جميعها من الثورة سلاحاً أشهرته في وجه حكامها المستبدين .. ولكن مع ما نعيشه مؤخراً من تبعات مربكة لتلك الثورات ، يواجهنا سؤال يطرح نفسه على استحياء : هل كان هناك بديل آخر ؟؟

هل كانت الثورة هي الحل الأقدر على مقاومة الاستبداد في أوطاننا أم أنها وسيلة لجأ إليها جيلنا لضيق يده وقلة حيلته عن أي وسيلة أخرى تستطيع كسر قيوده وتغيير واقعه ؟؟

اجابتنى كلمات اختصرت تساؤلاتي بأن:

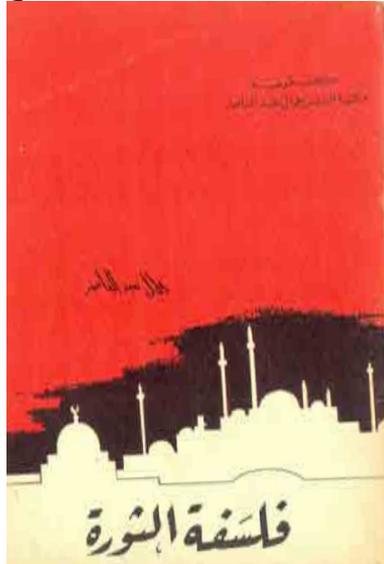
الثورة هي الوسيلة الوحيده التي تستطيع بها الأمة العربية أن تخلص نفسها من الأغللاك التي كبلتها، ومن الرواسب التي أثقلت كاهلها ؛ وعوامل القهر والاستغلال التي تحكمت فيها طويلاً، ونهبت ثرواتها. والثورة هي الوسيلة الوحيده القادرة على أن تطوى مساندة التخلف الذي طاك مداه بين الأمة العربية وبين غيرها من الأمم السابقة في التقدم.^(١)

الحقيقة أن تلك الكلمات لم تختصر تساؤلاتي فحسب بل إنها وضعت يدي على التجربة التي أبحث عنها .. فقد كانت تلك الكلمات بعضاً من رؤيا تائر عربي ، استطاع بإيمانه بأحقية وطنه في مستقبل أفضل أن يخوض بالوطن العربي بل والعالم كله غمار تجربة كانت مزيجاً من الرؤيا والحلم والواقع .. وأن يترك وراءه بصمة ، قد يختلف في تقديرها الكثيرون ولكن برغم الخلاف تظل دائماً بصمة يصعب على الزمن أن يمحوها ..

الكلمات والرؤيا : للزعيم الراحل جمال عبد الناصر (١٩١٨-١٩٧٠)

والتجربة : هي ثورة ٢٢ يوليو ١٩٥٢

وأول ما واجهني في قراءة تلك التجربة إشكالية أكثر من خمسون عاماً انتقلت خلالها ملامح التجربة إلينا عبر أجيال انقسمت حولها انقساماً شديداً ، بين مؤيد بشدة ومعارض بقسوة ، بصورة جعلت من استكشاف الحقائق أمراً مربكاً للكثيرين ، وتقادياً للارتباك حول التجربة ما لها وما عليها ، أثرت الرجوع إلى الرؤيا .. والرجوع إلى كلمات كتبها صاحبها في مراحل مختلفة من تجربته .. كتب بعضها في بداية الرحلة والآخر في قلب المعركة .. فقد وضع الزعيم جمال عبد الناصر كتاب « فلسفة الثورة » (١٩٥٣) في فجر تجربة يوليو ١٩٥٢ واصفاً إياه بأنه أشبه بخواطر عن الثورة ، تجول فيها ما بين الحلم والواقع ، قبل الثورة وبعدها ، بين الرؤيا والتجربة ، وبين الغاية والوسيلة ، ولم تكن فلسفة الثورة هي عمله الوحيد الذي حاول فيه تجسيد رؤيته وشرح تجربته بل تبع ذلك الكثير من الكتابات والخطب التي حاول دائماً فيها أن يشارك ما نسجه من حلم للوطن العربي ، نختار من تلك الاعمال اليوم ما تبلورت فيه ملامح التجربة و الرؤيا الناصرية : مشروع



الميثاق ، الذي قدمه في المؤتمر الأول للقوى الشعبية عام (١٩٦٢) والذي قد تحولت فيه الخواطر إلى دراسة وتأمل واستكشاف للنهج المؤدي إلى تحقيق الرؤيا.

نتجول بين صفحات تلك الاعمال لنجد الزعيم العربي الراحل يشاركنا بالوجود بعد أكثر من نصف قرن من الزمان تفصل بيننا وبين تجربته ، يشاركنا مشاعرنا المحبطة حول مجتمعنا بعد الثورة ويشاركنا الحيرة والاستغراب حول ما نشهده حولنا وفينا من تغيير ، فيكتب :

لقد كنت أتصور قبل ٢٢ يوليو أن الأمة كلها متحفزة متأهبة ، وإنها لا تنتظر إلا الطليعة تفتح أمامها السور ، فتندفع الأمة وراءها صفوفاً مترابطة منتظمة تزحف زحفاً مقدساً إلى الهدف الكبير ، وكنت أتصور دورنا على دور طليعة فدائيين ، وكنت أظن أن دورنا هذا لا يستغرق أكثر من بضعة ساعات ، ويأتي بعدها الزحف المقدس للصفوف المترابطة المنتظمة إلى الهدف الكبير ، ثم فاجأني الواقع بعد ٢٢ يوليو.

قامت الطليعة بمهمتها ، وخلعت الطاغية ، ووقفت تنتظر وصول الزحف المقدس للصفوف المترابطة

المنتظمة إلى الهدف الكبير... وطال انتظارها

لقد كانت الجموع التي جاءت أسياعاً متفرقة ، وفلولا متناثرة ، وتعطلت الزحف المقدس إلى الهدف

الكبير ، وبدت الصورة يوماً قائمة مخيفة تنذر بالخطر..

كنا في حاجة إلى النظام ، فلم نجد وراءنا إلا الفوضى...

كنا في حاجة إلى الاتحاد ، فلم نجد وراءنا إلا الخلاف...

وكنا في حاجة إلى العمل ، فلم نجد وراءنا إلا الخنوع والتكاسل....

لم نكن على استعداد .. وذهبتنا نلتصق بالرأي من ذوي الرأي ، والخبرة من أصحابها ومن سوء حظنا لم

نعثر على شيء كثير... كل رجل قابلناه لم يكن يهدف إلا إلى قتل رجل آخر... وكل فكرة سمعناها لم

تكن تهدف إلا إلى هدم فكرة أخرى . كانت كلمة ((أنا)) على كل لسان، كانت هي الحل لكلك مشكلة ،

وهي الدواء لكلك داء.^(٩)

ما أشبه اليوم بالبارحة ، ان التاريخ يصف بكل دقة حاضرنا الذي نراه رأي العين ..

وتلك بلا شك طبيعة تلك المرحلة ، ونتيجة طبيعية لما سبقتها من سنوات طويلة كان تعقيم العقول وتفكيك العلاقات الاجتماعية وتكسير مشاعر الانتماء لهذا الوطن هو أهم أدوات الاستبداد التي طالما استخدمها لتأمين وجوده على هذه الارض .. وما نشهده من زلزلة في قيم مجتمعنا أمر ليس بغريب على أي مجتمع يمر بظروفنا تلك فنحن أمام أن نتغلب على ماضي المعتم وفي نفس الوقت نشق طريقاً جديداً نحو مستقبلنا الذي نسعى إليه ..

لقد كنا نعيش داخل ستار من الفولاذ فإنهار فجأة.

وانطلقت علينا تيارات من الأفكار والآراء لم تكن المرحلة التي وصلنا إليها في تطورنا تؤهلنا لقبولها .

كانت أرواحنا مازالت تعيش في آثار القرن الثالث عشر ، وإن سررت في نواحيها المختلفة مظاهر القرن

الحالي .

وكانت عقولنا ، تحاول أن تلحق بقافلة البشرية المتقدمة التي تخلفنا عنها خمسة قرون أو يزيد ،

وكان الشوط ماضياً والسباق مروعاً مخيفاً.

أنا نعيش في مجتمع لم يتبلور بعد ، ومازال يفور ويتحرك ولم يهدأ حتى الآن أو يتخذ وضعه المستقر

ويواصل تطوره التدريجي بعد مع باقي الشعوب التي سبقتنا على الطريق.

ولقد أدركت منذ البداية أن نجاحنا يتوقف على إدراكنا الكامل لطبيعة الظروف التي نعيش فيها من

تاريخ ووطننا ، فإننا لم نكن نستطيع أن نغير هذه الظروف بجمرة قلم ، وكذلك لم نكن نستطيع أن نوخر

عقارب الساعة أو نقدمها ونتحكم في الزمن .^(١٠)

يضعنا الزعيم الراحل بكلماته في مواجهة الحقيقة ..

وهي مواجهة ليس الهدف منها على الإطلاق الشعور بالرضا والاستكانة لان ما نحياه هو امر طبيعي ونتيجة متوقعة بل العكس تماما .. إنها مواجهة لوضع الأمور في نصابها الحقيقي .. قد لا نملك أن نتحكم في الزمن أو نغير الظروف ولكننا نملك ألا نستسلم لها .. وبدون أن نستكمل جميعاً ومعاً طريق التغيير الجذري الذي بدأناه تفقد ثورتنا جدواها وتضل طريقها

نحو الهدف الكبير ، فالثورة بالطبيعة عمل شعبي وتقدمي؛ إنها حركة شعب بأسره يستجمع قواه ليقوم بإقتحام عنيد لكل العوائق والموانع التي تعترض طريق حياته كما يتصورها، وكما يريد لها؛ كما أنها قفزة عبر مسافة التخلف الاقتصادي والاجتماعي؛ تعويضاً لما فات، ووصولاً إلى الآمال الكبرى.

من هنا فإن العمل الثوري الصادق لا يمكن بغير سمتين أساسيتين:

أولاهما: شعبيته.

والثانية: تقدميته.

فالثورة ليست عمل فرد؛ وإلا كانت انفعالاً شخصياً يأساً ضد مجتمع بحاله. وليست عمل فئة واحدة؛ وإلا كانت تهادماً مع الأغلبية، وإنما قيمة الثورة الحقيقية بمدى شعبيتها، بمدى ما تعبر به عن الجماهير الواسعة، ومدى ما تعبئه من قوى هذه الجماهير لإعادة صنع المستقبل، ومدى ما يمكن أن توفره لهذه الجماهير من قدرة على فرض إرادتها على الحياة.. والثورة تقدم بالطبيعة.⁽¹⁾

إن فهم طبيعة المرحلة الحرجة التي تمر بها أمتنا هو أمر لا غنى عنه من أجل تحقيق التغيير الذي نريد .. وكذلك استيعاب الظروف التي مر بها مجتمعنا والتي اثرت في طبائعه ، وأخذ كل تلك العوامل في الاعتبار أثناء وضع الخطوات العملية لتحقيق أهدافنا .. وقد يبدو أحياناً ان الطريق واضح .. وأن الإجابة سهلة .. ولكن بعيداً عن الأوراق ، هو طريق ما بقي منه أطول بكثير مما مضى ، ونضال أشد عزمًا مما فات .. هي معركة تشكل الانتفاضة الأولى شرارة انطلاقها وتظل الثورة المستمرة بطلها الأوحد ..

وتحتاج الثورة لكي تستمر إلى أن تسليح نفسها بقدرات ثلاث تستطيع بواسطتها أن تصمد لمعركة المهير التي تخوض غمارها اليوم، وهذه القدرات الثلاث هي:

أولاً: الوعي القائم على الاقتناع العلمي؛ النابع من الفكر المستنير، والناجم من المناقشة الحرة التي تتمرد على سياط التعصب أو الإرهاب.

ثانياً: الحركة السريعة الطليقة التي تستجيب للظروف المتغيرة التي يجابهها النضال العربي؛ على أن تلتزم هذه الحركة بأهداف النضال ومثله الأخلاقية.

ثالثاً: الموضوع في رؤية الأهداف، ومتابعتها باستمرار، وتجنب الانسياق الانفعالي إلى الدروب الفرعية التي تبعد بالنضال الوطني عن طريقه، وتهدر جزءاً كبيراً من طاقته.

أن النضال الوطني للشعوب، وللأمم مطالب اليوم بأن يخترع مفاهيم جديدة للأهداف الكبرى؛ وذلك معناه أنه مطالب اليوم بأن يجد الأساليب المسيرة لاتجاه التطور العام، والتفقه مع طبيعة العالم المتغير.

والثورة العربية وهي تواجه هذا العالم لا بد لها أن تواجهه بفكر جديد لا يحبس نفسه في نظريات مغلقة؛ يقيد بها طاقته، وإن كان في نفس الوقت لا ينزك عن التجارب الغنية التي مهلت عليها الشعوب المناضلة بكفاحها. لأن التجارب الاجتماعية لا تعيش في عزلة عن بعضها، وإنما التجارب الاجتماعية كجزء من الحضارة الإنسانية تعيش بالانتقال الخصب وبالتفاعل الخلاق.

وهذه المرحلة من النضال هي من أخطر المراحل في تجارب الأمم .

إنها النقطة التي تنتكس بعدها حركات شعبية كانت تبشر بالأمل في نتائج باهرة، ولكنها نسيت نفسها بعد أول انتصار لها ضد الضغط الخارجي، وتوهمت خطأً أن أهدافها الثورية تحققت؛ ومن ثم تركت الواقع كما هو دون تغيير..

نافيةً أن عناصر الاستغلال الداخلي متصلة عن قرب مع قوى الضغط الخارجي؛ إن هذه الحركات الشعبية تسلم نفسها بعد ذلك للواجبات الدستورية المخادعة، وتتهور بذلك أن الحرية استوفت حقوقها، كذلك ففي هذه المرحلة الخطيرة من النضال الوطني تنتكس الحركات الشعبية؛ حين تنهج للتغيير الداخلي نظريات لا تنبع من تجربتها الوطنية الخاصة..^(١)

إن ما تهيجه في النفوس قراءة تلك الخواطر - التي كتبها جمال عبد الناصر منذ أكثر من خمسين عاماً - هو مزيد من التساؤلات القاسية .. تساؤلات لا تواجه تاريخ تلك الرؤيا بإيجابياتها و سلبياتها ، بنجاحاته وإخفاقاته ، ولا تواجه من اتفق معها وأيدها أو رفضها وعارضها ، ولا تواجه حتى صاحبها الذي تحمل و بشجاعة مسؤوليته في غرس حلم وطن عربي حر من كل الأغلال ، وبذل في سبيل هذا الحلم ما استطاع خلال عمر نضاله على تلك الأرض ، ولكنها في الواقع تواجهنا نحن من عيش الآن وهنا على تلك الأرض .. تساؤلات تطرح نفسها ..



هل فهمنا حقاً ما مر من ماضيينا بالصورة التي تجعل منه حجراً نرتكز عليه لنقفز إلى مستقبلنا؟؟

هل استوعبنا أن ما بذلته مجتمعاتنا من تضحيات كان مجرد بداية لتضحيات أكبر لم تبذل بعد؟؟

وهل ادركنا أن ثورة مجتمعاتنا لم تكن هي الغاية في حد ذاتها؟؟

« وأن الجماهير لا تطالب بالتغيير ولا تسعى إليه وتفرضه لجرد التغيير نفسه خلاصاً من الملك؛ وإنما تطلبه وتسعى إليه وتفرضه تحقيقاً لحياة أفضل، تحاول فيها أن ترتفع بواقعها إلى مستوى أمانها.. وأن التقدم هو غاية الثورة وهدفها وذلك بالانتقال بكل قوة وتصميم مما كانت قائماً بالفعل إلى ما ينبغي أن يقوم.»^(١)

المصادر : (١) مشروع الميثاق (٢) كتاب فلسفة الثورة يمكن الاطلاع على أعمال الزعيم الساردة بالمقال من خلال مكتبة مركز والي وكذلك من خلال الموقع الرسمي للزعيم جمال عبد الناصر . <http://nasser.bibalex.org/home/main.aspx?lang=ar>